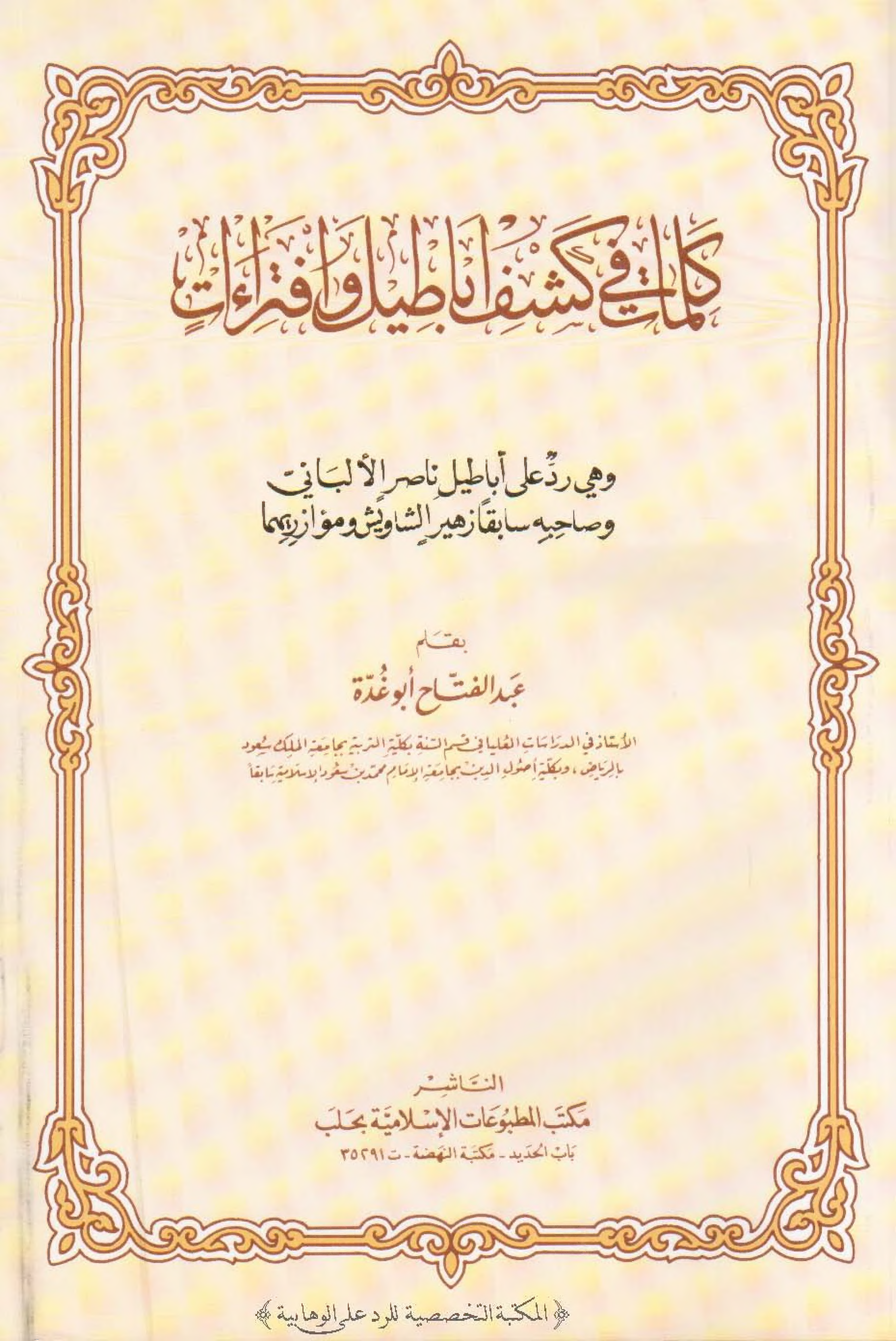

كلمات في كشف أباطيل وافتراءات
وهي ردٌّ على أباطيل ناصر الألباني
وصاحبه سابقاً زهير الشاويش ومؤازريهما
بقلم
عبد الفتاح أبو غُدّة
الأستاذ في الدراسات العليا في قسم السنة بكلية التربية بجامعة الملك سعود
بالرياض، وبكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سابقاً
الناشر
مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب
باب الحديد - مكتبة النهضة - ت ٣٥٢٩١
المكتبة التخصصية للرد على الوهابية



كلمات في كشف أباطيل وافتراءات

بقلم

عبد الفتّاح أبو غُدّة

الأستاذ في الدراسات العُليا في قسم السنة بكلّية التربية بجامعة الملك سعود
بالرياض، وبكلّية أصول الدين بجامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية سابقاً

الناشر

مكتب المطبوعات الإسلاميّة بحلب

باب الحديد - مكتبة النهضة - ت ٣٥٢٩١

الطبعة الأولى في الرياض سنة ١٣٩٤
بالمطابع الأهلية للأوفست. ص. ب ٢٩٥٧
هاتف ٤٩٨٠٧١٥ و ٤٠٢٧٥٤٦

الطبعة الثانية سنة ١٤١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد فقد كتبتُ هذه الرسالة منذ ١٥ سنة، وطبعتُها في أوائل سنة ١٣٩٤ بمدينة الرياض، وكنت أقدِّمُها لمن يطلبها مني فقط، نظراً إلى أنه وَقَفَ على كتابةِ المَعْنِيِّين بهذه الكلمات، ولا أُقدِّمُها لمن كان خاليَ الذهن من الموضوع، حتى لا يُشغَلَ الناسُ بي وبأولئك، وما أخرجتُها للنشر أو البيع في المكتبات، رعايةً لما أشرتُ إليه.

ولكن أولئك لم يَفْتُروا، وأنزلوا بعدَ طبع رسالتي هذه: بعضَ الرسائل إلى السوق، إذكاءً لما قدَّموا، ووَزَّعوها للنشر في المكتبات، فألحَّ عليَّ بعضُ المحبين المخلصين العارفين بدَخِيلةِ الأمر: بإشاعةِ رسالتي هذه ونَشْرِها، قائلين لي: إنَّ أولئك يَنْشُرون عنك قالاتِ السوء، ويُوزِّعُونها في المكتبات، فتصِلُ إلى أيدي القُرَّاء البعيدين والقريبين العارفين والجاهلين.

وإنك بطريقتك هذه: لا تَصِلُ رسالتُك إلّا إلى أفرادٍ محدودين معدودين يلتقون بك، أما البعيدون عنك والذين لا يَعرفونك أو لا يَصِلُون إليك فقد يُخدَعون بأولئك ويُصدِّقُون أقاويلَهم فيك، فينبغي أن تُذِيعَ رسالتَك وتَنْشُرَها، بياناً للحقيقة وهتكاً للأكاذيب والمفتَريات، فاستَجَبتُ لهذا المنطق الحقِّ الصحيح، والله تعالى وليُّ التوفيق.

وكتبه

عبد الفتاح أبو غدة

في الرياض ٢ من رمضان المبارك سنة ١٤٠٩

توضيح لقارىء رسالة (كلمات)

قد يتساءَلُ القارىءُ العارفُ بما كان بيني وبين الشيخ ناصر الألباني وزهير الشاويش ومن يؤازرهما من صداقة، عن سَبَبِ الخلافِ بيننا، حتى بَلَغ بهم الأمرُ إلى هذا الهجومِ الشديدِ العنيفِ عليَّ، فأذكُرُ السبَبَ الظاهرَ ليُوقَفَ عليه، وأُرجِىءُ ذكرَ غيرِهِ من الأسباب إلى وقتٍ آخَرَ إن شاء الله تعالى.

السَّبَبُ: بيانُ رأيـي في مسألةٍ علميةٍ خالفتُ فيها الألباني، وذلك حين طلَبَتْ مني عمادةُ كلية الشريعة التي كنتُ أُدرِّسُ فيها بالرياض سنة ١٣٩٠، أن أُبيِّنَ رأيـي في صنيع الألباني فيما علَّقه على «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبـي العِزّ، الذي طبعه الناشر زهير الشاويش صاحبُهُ (سابقاً)، وكان هذا الشرحُ مقرَّراً تدريسُهُ في الكلية.

فقد علَّق الألباني في حاشية هذا الكتاب، على كل حديث عزاه المؤلِّفُ إلى الشيخين البخاريِّ ومسلم، ورَوَياهُ في «صحيحيهما»، أو رَوَاهُ أحدُهما في «صحيحه»، بقوله: (صحيح)، قاصداً بيانَ مرتبةِ الحديث وإبداءَ حكمِهِ بثبوتِهِ وصحتِهِ عنده، فأبديتُ رأيـي أنَّ هذا المسلك في التعليق على أحاديث «الصحيحين» خطأٌ كبير، وفيه إيهامٌ خطيرٌ للطلبةِ الناشئين في العلم، بأنَّ في «الصحيحين» أحاديثَ غيرَ صحيحة، وفي ذلك تشويشٌ لأذهانِهم، وتشكيكٌ لهم في صحةِ أحاديث «الصحيحين»، ونقصٌ لثقةِ المسلمين بهذين الكتابين الجليلين[1].

وبيَّنتُ رأيـي هذا لعمادةِ الكلية مكتوباً كما طُلِبَ مني، وأُورِدُ بآخر هذا التوضيح صُورةً من كتاب عمادة الكلية إليَّ بذلك فقامت قيامةُ أولئك، وسَمَّوْا بياني لعمادة الكلية

---

(١) انظر لزاماً الردَّ على الألباني في تضعيفه لجملةٍ كبيرةٍ من أحاديث «صحيح مسلم»، في كتاب «تنبيه المسلم إلى تعدِّي الألباني على صحيح مسلم» لمؤلِّفِهِ محمود سعيد في ٢٠٤ صفحة، وانظر كتاب «مكانة الصحيحين» للأستاذ الشيخ الدكتور خليل مُلَّا خاطِر ص ٤٧٣ ـ ٤٩٧، تحت عنوان (بدعة التصحيح على الصحيحين).

(تقريراً سِرِّياً، خِلسةً)، وعَدُّوا عملي هذا تجسُّساً، ونبزوني بأشنع الأوصافِ المُقْذِعة، إلى آخر ما نقلتُ بعضَه ـ وسيقفُ القارئُ عليه ـ في رسالة «كلمات».

وقد كانوا سمعوا مني هذا الرأيَ والنقدَ مراتٍ كثيرةً في سنوات سابقة، فلم يكن منهم معي خصومةٌ ولا مقاطعة، فلمَّا قدَّمتُه لعمادة الكلية اتخذوه سبباً وقاموا بهذا الردِّ الشنيع والهجومِ العنيفِ والعِداءِ الصارخ. وإليك قصةَ تعليقاتِ الألبانيِّ هذه وما دار بيني وبين زهير الشاويش والألباني والأستاذ الشيخ يوسف القَرَضاوي بشأنها، وإصرارِ الألبانيِّ على طريقتِهِ المستنكرة فيها:

حين صدور كتاب «شرح العقيدة الطحاوية» في الطبعةِ الثالثة سنة ١٣٨١ كنت في دمشق، فأَهدى إليَّ الناشر زهير نسخةً منه فأخذتُهُ وشكرتُهُ، ثم نظرتُ فيه ليلاً فرأيتُ فيه تصحيحَ الألباني على البخاري ومسلم، فأنكرتُ ذلك في نفسي.

ومررت في اليوم التالي بزهير، فبدأتُه بالحديث عن تعالي الأدباء المعاصرين على الأدباء المتقدمين مثلِ الجاحظِ وطبقتِه، ثم عن تطاوُلِ المؤرِّخين الحُدَثاء على المؤرخين القُدَامَى، ثم عن الشعراء كذلك، ثم قلتُ له: ومِثلُ ذلك تطاوُلُ بعضِ المُحْدَثِين المعاصرين على أئمة المُحَدِّثين المتقدمين كالبخاري ومسلم وأمثالهما.

فاستنكر معي زهير هذا جداً، ولكنه حين ذكرتُ له المُحْدَثين المعاصرين، تحرَّك في نفسه التساؤل: من أعني بذلك؟ وهل أنا جادٌّ أم مازح؟ فسألني فقلت: أنا جادٌّ لا مازح، فلما رأى أنَّ الحديث جِدّ، قال: هذا غريب! مِثلُ مَنْ فَعَل أو يفعَلُ هذا؟ قلت: أُناسٌ تعرفهم، فازداد عَجَبُه وإنكارُه، ثم ألحَّ عليَّ فقال: أخبرني من يفعلُ ذلك؟

قلت: الشيخ ناصر، فأَبدى عَجَباً واستغراباً كثيراً أن يكون وقع منه ذلك، ثم قال: وأين وقع منه هذا؟ قلتُ: في الكتاب الذي أهديتَهُ إليَّ بالأمس: «شرح العقيدة الطحاوية»، هاتِهِ حتى أُريَك الذي أنكرتَه موجوداً فيه في مواضع كثيرة جداً.

فجاء بنسخة من الكتاب، فلما رأى ذلك بعينيهِ ـ شَهِدَ اللَّهُ الذي هو على كل شيء شهيد ـ أَنكَرَ ذلك الصنيعَ كلَّ الإنكار، ولكنه قال: أنا أستبعدُ أن يكون هذا من الشيخ ناصر، قلت: لا معنى للاستبعاد والاستغراب أن يقَعَ منه، فإنه لا يفعلُ هذا إلا مُحقِّقُ الكتاب.

قال: أقدِّرُ أنه من المصححين في المكتب الإسلامي؟ لا منه، قلت: هذا بعيد، فلا دَخْلَ للمصححين بالحكم على «الصحيحين» أو غيرِهما في الأحاديث، قال: نَرى

نسخةَ الأصل المطبوع عنها، قلتُ: هاتِها، فجاء بها فإذا تلك التصحيحاتُ على أحاديث البخاري ومسلم في «صحيحيهما» هي بخط الشيخ ناصر، ولا دَخْلَ لغيره فيها، فسُقِطَ في يد زهير عندئذٍ وسكت.

ثم في صيف سنة ١٣٨٩ كنتُ في بيروت، وذهبتُ لزيارة زهير في منزله، فرأيتُ، عنده الأستاذ الشيخ يوسف القَرَضاوي يراجع بعض المسائل، فجلستُ معه، وبعدَ قليل جاء الشيخ ناصر الألباني فجلس، وكان زهير معنا في الغرفة أيضاً.

فبدأ الأستاذ يوسف القرضاوي بالحديث مع الشيخ ناصر، متلطِّفاً جداً قائلاً له: بعضُ الإخوة الأساتذة المحبين أبدَوْا ملاحظة على بعض تعليقاتكم على «شرح العقيدة الطحاوية»، حولَ أحاديثِ البخاري ومسلم في «الصحيحين»، إذْ أنكم في تعليقاتكم تصححون على «الصحيحين» حين يقولُ المؤلف: رَوَى البخاري ومسلم في صحيحيهما، فتعلقون على الحديث بقولكم: (صحيح)، وعَدُّوا هذا منافياً لطريقة المحدِّثين مع «الصحيحين».

فسأله الشيخُ ناصر: من يقول هذا؟ قال الأستاذ القَرَضاوي: والله أنا سمعت هذا النقد في قَطَر من بعض الأساتذة، وأجبتُ عنه بأنه يَحتمِلُ أن يكون الباعثُ للشيخ ناصر على هذا، أنه يُريدُ أن يُبيِّنَ أنَّ هذا الحديثَ ليس من الأحاديث المنتَقَدةِ على «الصحيحين»، إذ من المعلوم أنَّ بعض أحاديثَ فيهما انتُقِدَتْ عليهما من حيث إنها ليست على شرطهما في المرتبةِ العُلْيَا من الصحة، فلعل الشيخ ناصراً أراد بهذا أنَّ الحديث المذكور ليس من تلك الأحاديث المنتَقَدة، فهو حديثٌ صحيحٌ على شرطهما المعروف.

فإذا بالشيخ ناصر يغضبُ جداً ويَحمرُّ وجهُه، ويقول: لا، هذه طريقتي في تعليقاتي، فأنا بقولي بعدَ ذكرِ الحديث عن «الصحيحين»: (صحيح)، أقصِدُ بيانَ صحتِه، لا نَفْيَ أن يكون من الأحاديث المنتقَدَة عليهما، فدخلتُ أنا في الحديث وقلت: لكن هذه طريقةٌ غيرُ سليمة، تُوهِمُ الشكَّ في أحاديثِ «الصحيحين» حتى يُكشَفَ عنها، فازداد غضَبُه وتضايقُهُ وتوتَّر المجلسُ جداً، فسكتُّ حتى لا نَخْرُجَ إلى جوٍّ آخَرَ لا تُحمَدُ عقباه.

وأُوردُ بعدَ هذا صورةً عن كتاب عمادة كلية الشريعة الذي أشرتُ إليه آنفاً:

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة
للكليات والمعاهد العلمية

الرقم ....
التاريخ ١٠/١٠/٩١
المشفوعات ....

حول كتاب شرح العقيدة الطحاوية بتعليق الألباني المطبوع بدمشق سنة ١٣٨١ هـ ..

كان الشرح المذكور أعلاه يوزع من قبل رئاسة الكليات والمعاهد العلمية ، كمرجع من مراجع مادة التوحيد ، وحيث أن لجنة من المدرسين الوطنيين ـ السعوديين ـ قد رفعت ملاحظات على تعليق الألباني ، واقترحت عدم توزيع الكتاب فقد رفع ماقدمته اللجنة الى رئاسة الكليات .

وبناء على تقريرها استبدلت بالطبعة الدمشقية المذكورة / الطبعة المصرية الخالية من ذلك التعليق /

وأما الملاحظات التي كان قدمها لي فضيلة المدرس الشيخ / عبد الفتاح أبوغده حول التعليق المذكور ، استجابة لطلبي اياها منه ، فقد كانت بعد قرار اللجنة باستبدال الطبعة المشار اليها بزمن ،

ولبيان الحقيقة حرر .ـ ......

عميد كلية الشريعة
عبد الله بن قنتوخ





بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أَجمعين، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد فإن الله تعالى شَرَع لنا هذا الدين الحنيف، ليكون حاجزاً للمؤمن به عن كل شر وسُوء، وداعياً له إلى القيام بكل خيرٍ وفضيلة، وليتحقق المنتسبُ إليه بالخُلقِ القويم والسلوك المستقيم، فلا يقول إلا حقاً، ولا يتكلم إلا صدقاً، علماً منه بأن قولَ الباطل يُرَدُّ على قائله لأنه زهوق، وقولَ الحق يُقبل من صاحبه لأنه صدوق، ومتى حاد الإنسان عن مَهْيَع الصدق والأمانة فيما ينقله أو يقوله، سَقَط من أعين الناس، وكُشِفَ شأنُ افترائه، فباء بالخيبة مما يقصده من وراءِ أكاذيبه واختلاقاته، وكان سلوكه هذه الطريق الزائفة وبالاً عليه، من حيث يريد بسلوكها: الوبالَ على غيره، وهذه هي الحال القائمة في الذين أتحدث عنهم في هذه (الكلمات)[1].

بَدْءُ الافتراءات:

فمنذ نحو أَربع سنوات سنة ١٣٩٠، قام بعض الناس خارج المملكة،

---

(١) المعنيون بهذه (الكلمات): زهير الشاويش والشيخ ناصر الألباني ومن آزرهما، وفي الطبعة الأولى لهذه (الكلمات) لم أصرّح باسم أحد، ولكن الألباني صرَّح بأسمائِهم في فاتحة رسالته التي ردَّ بها على (الكلمات)، فصرَّحتُ.

من أَصحاب الأغراض السيئة والطوايا المنحرفة الكائدة، معروفين بأعيانهم، مدفوعين بأغراضهم، قاموا بطبع بعض الكتب والنشرات والمقالات والمقدمات والرسائل، للنيل مني والإساءَة إليَّ، والطُّعونِ بشخصي وعلمي وديني وخلقي وعقيدتي، بأَسماءٍ صريحة حيناً، وبأَسماءٍ منحولة مستعارة حيناً آخر، وبدَسٍ وإِضافات وزيادات مزوَّرة على كتب بعض المؤلفين حيناً ثالثاً، وبنَسْب بعض كتب الردود إلى اسمي حيناً رابعاً، ووَزَّعوا تلك الكتب والنشرات والرسائل... في داخل مدن المملكة وخارجها، وبعثوا بها إلى طائفة من أَجلة العلماء هنا، بقصد الكيد لي والتكدير عليّ.

وقد نسبوا إليَّ في تلك الكتب والمنشورات المتعددة: المزاعم الباطلة، وقالوا عليَّ الزور والبهتان، واختلقوا على لساني ما طاب لهم من الافتراءَات والأكاذيب، وزعموا أَني كفَّرت بعض كبار أَئمة العلم والدين! كلُّ ذلك صَدَر منهم لغاية يعلمها الكثير من المطلعين على حقائق الأمور، والواقفين على ما وراءَ الصورة الظاهرة، التي يَتقنَّع بها أُولئكِ الكائدون: من التظاهر بالغيرة منهم على العقيدة والعلم والدين والسَّلَفِ والمحدِّثين.

تأثيرها المؤقت:

وقد تأَثَّر بظاهر تلك النشرات الذين يجهلون الدوافع الكامنة التي خلفها، والغايات المستورة التي تُقْصَد من ورائها. وقد سأَلني كثير من أُولئك الأحبة الأخيار الذين تأَذَّوْا من تلك الاتهامات والنشرات، فأَوضحتُ لهم الأمر جلياً، وكَشَفْتُ لهم عن البواعث والأهداف التي حَوَّلتْ أُولئك المتقنِّعين، في تاريخٍ معيَّن، وظروف خاصة، من صورة الحب والصداقة التي كانوا يتظاهرون بها نحوي، إلى أَعداءٍ أَلِدَّاء مُفترين.

ارتدادها على قائليها:

ولقد عَرَف جمهرة من أَجِلَّة أولي العلم في المملكة: كثيراً من تلك

الأهداف والدوافع المستورة، فوقفوا من صَنِيع هؤلاءِ الكائدين موقفاً واعياً صُلباً نبيلاً، ولم يتأثروا بتُرَّهاتِهم وإرجافهم. وقد أَوغر هذا الموقفُ الحميدُ من السادة العلماءِ النبلاءِ صُدورَ أولئك المفترين الأعداءِ، وزادهم إمعاناً في غيهم وافتئاتِهم، ورغم ذلك لم يتحقق لهم ما كانوا إليه يَصْبُون.

ومن العجيب أَنهم قد وصل بهم الأمر إلى أَن اتخذوا نشر كتب العلم وسيلةً للطعن بي والتزوير عليّ بدون أَي مناسبة، ولا أَظن أَن أَهل العلم ممن لهم صلة بهم يَرضون عن صنيعهم في تشويه الكتب بأَمثال تلك التعليقات الباطلة والمشحونة بالإقذاع والسباب، بل لا بُدَّ أَن يَردعوهم ويُبينوا لهم أَن كتب العلم لا تُتَّخذُ وسيلةً للشتم والدَّس والتزوير والعداءِ، بالإضافة إلى أَن ذلك يُسيءُ إلى العلم وأَهله وكتبه، كما يَشينُ خدمة العلم التي يتظاهرون بها!

نماذج من المفتريات:

وأَرى أَن أشير هنا إلى بعض ما نشروه لهذه الغاية السيئة، لأكشف للقارىء الكريم نماذج أَعمالهم، وخَبْلَ أَباطيلهم، واستمرارَ كيدهم، وسقوطَ صنيعهم فيما صنعوه، جاهلين أَو متجاهلين أَن أولي العلم ـ بما آتاهم الله تعالى من نور الحق والمعرفة، وبصيرة التثُّبت والاستيقان ـ سيَرُدُّون عليهم باطلهم ولو زَوَّقوه وزخرفوه، وأَنَّ المكرَ السَّيِّءَ لا يَحيقُ إلا بأَهله مهما لَبَّسُوه ودَلَّسُوه، وتلك سُنَّةُ الله الحقِّ سبحانه: في أَنَّ كلَّ باطل يَصْدُر عن المبطلِ يَصْدُرُ ويكون معه دليلُ بطلانه، يُبصِرُه من يُبْصِره من أولي المعرفة والبصيرة، وقد يَخفى على غيرهم من الناس.

استغلال مكشوف:

١ ـ فمن تلك النشرات والمطبوعات: كتابُ الأستاذ محمد فِهر الشُّقْفَة: «التصوف بين الحق والخلق» الطبعة الثانية مزيدة ومحقَّقة. فقد طبعوه في دمشق سنة ١٣٩٠، في ٢٤٠ صفحة، ودَسُّوا فيه زُوراً وبهتاناً: كلاماً

حولي وحول غيري من العلماءِ، ومنهم الشيخ الجليل أبو الحسن النَّدْوِي فقد رَمَوْه بالكفر! كما في ص ٢٣١ من الكتاب المذكور، والمؤلف لا يَعلم بشيء من ذلك ولا يَرضى به، ووَزَّعوه في المملكة على كثير من كبار العلماءِ، وعلى بعض طلاب العلم، ليُحققُوا به قصدهم السَّيِّءَ مني بوجه خاص.

فما أَن عَلِمَ مؤلفه بذلك الدَسّ، حتى اشتاط غَضَبُه عليهم وغيظُه منهم، وبَعَثَ إليَّ برسالة منه بخطه، يُعَبِّرُ لي فيها عما يُكنُّه نحوي من تقدير واحترام، ويستنكر ما فعلوه من تزوير عليه، وإِساءَة إِليَّ وإِليه، بما اقترفوه من الأكاذيب. وقد ذَكَرَ في رسالته إِليَّ أَنه هدَّدهم بتقديمهم إِلى القضاءِ ليُحاكَموا على تزويرهم ودسِّهم وتقويلهم له ما لم يَقُله، ما لم يُثْبِتُوا على كل نسخة مما بقي لديهم من نسخ الكتاب: عبارةً تدل على أَنَّ الزيادات التي طعنوا فيها بي وبغيري من العلماءِ ـ ومنهم علماء لم يَعرفهم المؤلف ولم يَسمع بهم كما قال ذلك في رسالته إِليَّ ـ إِنما هي من صنيعهم وحدهم، وليس للمؤلف أَيُّ علم بها.

اعتراف بالدس:

وقد أَذعنوا لطلب المؤلِّف هذا، ووضعوا على الكتاب المذكور العبارة التالية: (ملاحظة: من صفحة ١٨٥ إِلى النهاية بعضُ آراء نُشرت بدون علم المؤلف). وعددُ صفحات الكتاب الذي طبعوه ٢٤٠ صفحة، فقد زادوا فيه دون علم مؤلفه ٥٥ صفحة، لينالوا بها من شخصي وغيري من العلماء، ولديَّ من النسخ التي أَثبتوا عليها هذه العبارة أَكثَرُ من نسخة.

رسالة تحذير:

كما أَرسل إِليَّ المؤلف أَيضاً صورة عن الكتاب الذي بَعَث به إِلى كل من بَلَغه أَنهم أَرسلوا إِليه كتابه المذكور، وهذا نصُّ كتابه:

«المحامي: محمد فِهر الشقفة ـ دمشق ـ بوابة الصالحية ـ بناية الهلال الأحمر ـ طابق أول رقم ١٣.

بسم الله الرحمن الرحيم

الفاضل السيد المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد بلغني أنه وصلكم نسخة من كتابي «التصوف بين الحق والخلق» الطبعة الثانية. وتبياناً للحقيقة فإني أُعلمكم أَن تلك الطبعة مزوَّرة، وقد دَسَّ عليَّ الناشر فيها أَقوالاً لم أَكتبها، تتعرض لبعض علماءِ هذا العصر، لغايةٍ في نفسه، وعلى ذلك اقتضى التنويه، والسلام.
دمشق ١٠/٣/١٩٧١ المحامي محمد فِهر الشقفة». انتهى.

ويجد القارىء الكريم في آخر هذه (الكلمات) صورةَ كتابِ الأستاذ محمد فهر الشقفة إليَّ بخطه، وصورةَ كتابه إلى الذين بلغه أَنهم أَرسلوا كتابه إليهم من العلماءِ في المملكة.

افتراء كبير:

ومما في تلك الافتراءَات التي دَسُّوها في الكتاب قولُهم في ص ٢٢٠ منه: «ومن خصوم أَهل الحديث السلفيين في سورية: الشيخ عبد الفتاح أَبو غدة، فهو حباً في التقرب إلى العامّة والغوغاءِ، ليكسب عطفهم وتأييدهم، يعمد إلى الطعن في هؤلاءِ السلفيين، حَسَداً وحِقداً، فقد خطب مَرَّةً في أَحـدِ مساجد حلب، فتَطرَّق إلى الكلام على السلفيين، فأَسماهم (الوهابيين) تقليداً للعامة والرَّعاع، وكان مما قاله: «إنَّ هؤلاءِ الوهابيين تتقزز نفوسهم أَو تشمئز حينما يسمعون بذكر النبـي صلى الله عليه وسلم، مما لا يَجْسُر على القول به أَكذَبُ الناس...». انتهى كلامهم.

سقوط البهتان:

وأَقول: الذي تتقَزَّزُ نفسه بذكر محمد صلى الله عليه وسلم خارِجٌ عن المِلَّة بيقين، ومن قال هذا في هذه الأيام عن أَهل هذه الديار المقدسة، التي يَدخُلُها كلَّ عام مئاتُ الأُلوف من حجاج العالم الإسلامي، فقد حكم على

نفسه بالجنونِ المطبِق والتكذيب من كل من سمعه، فقد اتصل الناسُ بعضُهم ببعض ودَخَل أَهلُ كل بلد البلَدَ الآخر، وماتت تلك الدِّعايات التي يَتذرَّعُ بها هؤلاءِ لمآربهم المعلومة، ولم يبق إمكانٌ عند أَحد من الناس أَن يُصدِّقَ مثلَ هذه الأكاذيب، بعد ذُيوع المِذياع، واتصال البلدان، واختلاط الناس وتعارفهم عن لقاءٍ وقُرْب ومعاشرة، فسبحان الله إنَّ هؤلاءِ يكذبون كذباً مجنوناً، ويظنون أَن الناس لا عقول لهم، ولا عيون لديهم، ولا موازين عندهم، وأَنهم يصدقونهم بكل ما يَهْرِفون ويَبْهَتُون!.

ومن المعلوم أَن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ركنٌ من أَركان الصلاة عند السادة الحنابلة، وتَبطُل صلاةُ المصلي إذا تَرَكَ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد، والناسُ في البلاد السعودية يَتبعون مذهب الإمام أَحمد بن حنبل رضي الله عنه، وفي مقدمتهم إمامُ الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، فما أَقبحَ الكذبَ وما أَسرعَ انكشافَه؟!

افتراء يُبْنَى على افتراء:

٢ ـ ومن المنشورات التي وَزَّعوها أَيضاً ودسُّوا فيها أَيضاً، وتلاعبوا بها كما شاءَت لهم أَنفسهم المريضة: رسالةٌ أَسموها: «السيف الصقيل العبقري على أَباطيل تلميذ الكوثري»، وقد طبعوها في بيروت قبل شهر رمضان من سنة ١٣٩٠، في ٤٠ صفحة، طبعوها باسم (عبد الكريم الربيعان) على وجه الغلاف، وباسم (محمد الربيعان) على الصفحة الأُولى من الرسالة، ونقلوا فيها جُلَّ العبارات التي دَسُّوها في كتاب «التصوف بين الحق والخلق»، وزادوا عليها وَصْفِي: بالنفاقِ والاندساسِ في صفوف الدعوة الإسلامية، مع فساد العقيدة.

وقالوا فيها بالحرف الواحد في ص ٤ و٥: «. . . وإنَّ كلَّ البطءِ في السير والتعثرِ في الحركة الإسلامية، إنما كان بسبب هذه العناصر الملوَّثة،

التي استطاعت بنفاقها أَن تكون في صفوفها، وأَبو غدة واحِدٌ من هؤلاءِ المُخَرِّفين الذين انْدَسُّوا في الصف الإِسلامي. . .». انتهى كلامهم، ثم طلبوا من القارىء بقولهم: «انظر تعليق الأستاذ فِهر الشقفة من كتابه التصوف بين الحق والخلق، الذي فَضَح فيه أَبا غدة وبِطانَتَهُ». انتهى كلامهم.

فصار كذبُهم السابقُ مصدراً ومرجعاً لكذبهم اللاحق، وقد وزَّعوا هذه الرسالة بحسب ما قَدَرُوا، وعند من قَدَّرُوا أَنها تُقنعهم وتُحرِّكُهم، لتحقيق ما يقصدون من وراءِ إذاعتها ونشرها، ومن قرأَ الصفحات الأُولى من الرسالة المذكورة أَدرك الغرضَ من طبعها وتوزيعها ونَحْلِها لاسمينِ مختلِفين، لا وجودَ لهما لدى العارفين بالناسِ هنا.

محاولة بائرة:

٣ ـ ومن المقالات التي نشروها لهذه الغاية أَيضاً، باسم مستعار: مقالةٌ في جريدة الدعوة، في عددها ذي الرقم: **٣٢٣**، وبتاريخ **١٣٩١/٨/٢٨**، وغمزوا فيها بشخصي ما طاب لهم أَن يغمزوا، بين أُسلوب المدح والقدح، والتصريح والتلويح، والجِدِّ والهَزْل على حَدِّ تعبيرِ كاتب المقالة.

وقد جاءَت مقالتُه ترشح بالحِقد والضغينة، وإِن حاول تغطيةَ ذلك بالدُّعابات السَّمِجَةِ الغَثَّة! ومع تلطُّفِهِ المتصنَّع، وصَبْغِه نَفْسَه بصورة الأَديب المحلِّل، وختمِهِ مقالتَهُ بالرمز إلى اسم مجهول في ختامها بحَرْفَيْ ع. هـ. فهو معلوم الهوية، مكشوف الطوية، مأمور بذلك من آمره في الخارج، وكان يرجو أن تبلغ تلك المقالة ما لم يبلغه الكتابان السابقان، فينالَ عند آمره حظوة زائدة، ومنافع متعددة. ولكنْ كانت النتيجة أَن بارَتْ المقالة وبار مكرُ كاتبِها.

حملة شتائم:

٤ ـ فاقتضى هذا البَوَارُ المتلاحق: حملةً كبرى مشحونة بالطيش

والغضب الأحمق، والأكاذيب المفتعلة، والسباب المتراكم، مُوقَّعاً عليه بالاسم المكشوف الصريح، فجاءَت (المقدمة) لشرح «العقيدة الطحاوية» طافحةً بأَلوان السب والشتم، تتقدَّمُ كتاباً في أَعظم موضوع وهو العقيدة الإسلامية، ليَعْبُرَ القارئُ منها من ساحات السباب والشتائم والافتراءَات... إلى ساحة التوحيد، وقد شُحِنَ بما يَتجافى مع سُمُوِّ العقيدة السامية، من إقذاع وقذف وطعن وتكفير وغير ذلك، مما سأشير إلى بعضه بعد قليل.

فقد جاءَت «مقدمة شرح العقيدة الطحاوية»، الذي طُبع في بيروت: الطبعة الرابعة، سنة ١٣٩١، باسم صريح، وافتراءٍ صريح، وكيد صريح، وجاءَت مقدمتُه في ٦٤ صفحة، ٤٤صفحة منها في موضوع سبي وشتمي وقذفي بالعظائم، فقد حشَوْها بالألفاظ التالية التي أَضعها بين قوسين هنا ورموني فيها «بالتعصب، وتعمد الكذب، والتزوير، والافتراء، والجَوْرِ والضلال، والتخرُّص، والاختلاق، والجهل، وضيق الفكر والعَطَن، وسوءِ القصد، وفساد الطوية، والتقليد والجهل، والتجاهل، والتدليس الخبيث، والحقد، والحسد، والنفاق، واللعب على الحبلين، وأَني أَجمَعُ وأَتَّصفُ بأَكثر الصفاتِ السِّتِّ التي تجوز الغيبة لمن اتصف بها، وأَني كحاطب ليل، ووصفي المرَّاتِ تلو المرات بأَني (حنفي) مسوقةً مساق التعيير والمَسَبَّة ـ إذ يرون الانتساب إلى الإمام أَبي حنيفة أَو غيره من الأئمة المتبوعين الأجلة سُبَّةً ونقصاً ـ ، وبذمِّ الشيوخ الأحناف، وبأَنهم على درجة بالغة من التعصب وأَنهم يُضمرون العداءَ الشديدَ لأهل الحديث، وأَني أَقول: من زعم أَنَّ الاستغاثة بالموتى من دون الله شِرك أَو كُفْر: فهو كافر، وأَني عَدوٌّ لَدُودٌ لابن تيمية، وابن القيم، وابن عبد الوهاب، وأَني أُلصق بهم وبعقيدتهم أَشنع الأوصاف، وأَني مُخْبِر!». هذا ما وصفوني به في المقدمة المذكورة، وهذه أَلفاظهم بالحرف كما ذكرتها نثروها في صفحات تلك (المقدمة).

افتراء خطير:

ثم لما استنفدوا ما عندهم من مثل هذه الألفاظ الدالة على طوية قائليها والتي تكررت في هذه المقدمة عشرات المرات، وخَشُوا أَن لا تأتي لهم بالنتيجة المرجوة، ختموا المقدمة برميي بالجاسوسية! فزعموا في ص ٥٧ من المقدمة بقولهم عن أَنفسهم: «أَنه نالهم الأذى بسبب هذه التقارير التي يقدمها الجواسيسُ والمخبِرُون المنتَشِرون في كل مكان، مِثلُ مقدِّم ذلك التقرير الجائر». انتهى كلامهم بالحرف الواحد. وهم يعنوني بهذا كلِّه.

وقد صَرَّحوا بذلك في ص ٤٣ من المقدمة، فذكَرُوا: اسمي، ونسبي، واسمَ بلدي، ومَذْهبي، واسمَ ولدي، وفاتهم ذكرُ بقية أَفراد الأُسرة لتمام التعريف، خشيةَ الاشتباه واللَّبْس. ورَمَوْا هذه القذيفة الكبرى في زعمهم، وظنوها أَنها القاضية، فكانت كذلك ولكن عليهم، لبذاءَة لغتها، وزُور مضمونها، وقباحة أُسلوبها، وانكشاف البهتان والزور فيها.

انقلاب عجيب:

وصِرتُ أَنا في هذه «المقدمة» وما كتبوه قبلها من سنة ١٣٩٠: المتصفَ بهذه الثلاثين وصفاً، من: «التعصب، وتعمد الكذب، والتزوير، والافتراء، والجور، والضلال... إلى: المُخْبِر، والجاسوس». وكنتُ قبل سنة ١٣٩٠ عندهم أَنفسِهم كما كتبوه إِليَّ بخطوطهم المحفوظة عندي: «فضيلة أستاذنا الجليل...، فضيلة الأخ المكرم...»، وكما طبعوه في بعض كتبهم مثل كتاب «الكَلِم الطيب» لشيخ الإسلام ابن تيمية، الذي طبعوه في بيروت سنة ١٣٨٥، وقالوا فيه في حاشية ص ١٢ من مقدمتهم للكتاب بالحرف الواحد «... تحقيق الأستاذ الفاضل الشيخ عبد الفتاح أبو غدة»، ومثلُ تفسير ابن الجوزي «زاد المسير» الذي طبعوه بدمشق سنة ١٣٨٤، فقد قالوا في مقدمته ١: ٦ «... نُقَدِّمُ خالصَ شكرنا وجزيل امتناننا للعالم الفاضل الأستاذ عبد الفتاح أبوغدة».

فكنت عندهم «فضيلة أستاذنا الجليل. . . ، وفضيلة الأخ المكرم. . . ، والأستاذ الفاضل. . . والعالم الفاضل. . .»[١]، فلما وقعت الواقعة في سنة ١٣٩٠ صِرتُ صاحبَ الثلاثين وصفاً، فاقرأ ما ترى واعجَبْ.

وقد وَزَّع «مقدمة شرح العقيدة الطحاوية» لهم في داخل مدن المملكة وخارجها وفي الرياض خاصةً بعضُ مأموريهم الموجودين في داخل المملكة المنتفعين منهم، ممن كان يعمل لديهم في بلده هناك، وقام بإهدائها ذات اليمين وذات الشمال، لكل من قدَّرُوا أَنه يَغترُّ بما فيها من زُور وافتراء. وطبعاً أَحالوا في تلك المقدمة في ص ٤٤: القارىءَ إلى أَن يرجع «إلى كتاب الأستاذ الفاضل فِهر الشقفة: التصوف بين الحق والخلق ص ٢٢٠ الطبعة الثانية». وهو المصدر الذي اختلقوه بأَيديهم كما سلف بيانه، ثم أَحالوا القارىء إليه هنا كما هي عبارتهم.

كيد مردود:

وثقةً مني بأَن كل من يَطَّلع على تلك المقدمة البذيئة، لا بد أَن يَستهجن ما ورد فيها، ويشمئز من أُسلوبها، وما حوته من حقد ودَسّ وتُهَم وتعبيرات نابية، يعف عنها خُلُق المسلم ولسانه: فقد قُمتُ بنفسي بشراء جملة منها، ثم بتوزيعها بيدي على نخبة من العلماءِ ورجال الدعوة الإِسلامية في داخل المملكة وخارجها، لأن ما فيها يَشِينُ كاتبيها وناشريها، ويكشف عن خبيئة نفوسهم، وليَعرف كلُّ من قُدِّمَتْ إليه نسخةٌ من تلك المقدمة: المستوى الذي انحدر إليه أولئك الذين يَدَّعون السلفية والغيرةَ على العقيدة لمنافع وغايات شخصية، وهم أَشدُّ الأعداءِ لما يَدَّعون.

---

(١) وأنا عندهم في «آداب الزفاف»، ص ١٦٠ «بعضُ أصدقائنا من فُضَلاء الحنفية»، وص ١٦٥ «لحضرة الصديق الفاضل». هكذا أنا في كل طبعاتِ هذا الكتاب السابقةِ لطبعةِ عَمَّان سنة ١٤٠٩، وفيها في ص ٢٦٠ انقلبتُ عندهم إلى «بعضِ متعصِّبةِ الحنفية»، فانظر هذا الخُلُقَ. . . وقُلْ: إذا لم تستحِ فقُلْ ما شئتَ!

استغلال للسلفية وتهجم عليها :

فقد نَشَروا في بعض كتبهم ومطبوعاتهم التي تَصدر باسم مكتبهم الموصوف المعروف، نشروا ما نالوا به من العلماءِ والمسؤولين في هذه المملكة الكريمة، التي قامت على العقيدة وحمايتها ورعايتها ونشرها، وما تَزالُ هي الحامية الراعية لها، وتضع في سبيل نشرها والدعوة إليها والذَّودِ عنها كلَّ إمكاناتها.

ولست أَنا ممن يلقي الكلام على عواهنه، ويُرسِلُهُ دون توثق أَو تحقق، ولذا أَنقل للقارىء الكريم من كتاب «حَجَّة النبي صلى الله عليه وسلم كما رواها عنه جابر رضي الله عنه»، ما قالوه في الصفحة ١٤٥ و ١٥١ و١٥٦ من الطبعة الثانية والثالثة وهو منتشر يُباع في مدن المملكة، وفيه ما يُعرِّف بحقيقة هؤلاءِ الأدعياءِ المتظاهرين بالغيرة والسلفية، والمتلبِّسين بما يخالف دعواهم وتظاهرهم وما يزعمون لأنفسهم.

قالوا في كتاب «حَجَّة النبي صلى الله عليه وسلم»، ص ١٤٥، من الطبعة الثانية المطبوعة في بيروت سنة ١٣٨٤، والطبعة الثالثة المطبوعة بدمشق سنة ١٣٨٧، قالوا في هاتين الطبعتين مُندِّدين بالمملكة العربية السعودية الموقَّرة وبالعلماءِ والمشايخ الموقَّرين فيها، ما أَضعه بالحرف الواحد بين قوسين:

«إِنَّ دولة التوحيد بدأَتْ تتهاوَنُ بالقضاءِ على ما ينافي توحيدَها، الذي هو رأسُ مالها، والمشايخُ وجماعةُ الأمر بالمعروف هَيْئَة! إلا من شاءَ الله». انتهى كلامهم.

وقالوا في هذا الكتاب أَيضاً، في طبعتيه أَيضاً في صفحة ١٥١، مُندِّدين بالمسئولين عن المسجد النبوي، وواصفين لهم بمسايرةِ الأهواءِ وضعفِ الإِيمان وغلبةِ الهوى، قالوا ما أَضعه بالحرف الواحد بين قوسين:

«... ولقد تحدثتُ مع بعض الفضلاءِ بضرورة الحيلولة بين هؤلاءِ الجهال وما يأتون من المخالفات، ولكن المسؤول الذي يستطيع ذلك لم يفعل! ولن يَفعَلَ إلا أَن يشاءَ الله! ذلك لأنه يُسَايرُ بعضَ أَهل المدينة على رغباتهم وأَهوائِهم! ولا يَستجيب للناصحين من أَهل العلم! ولو كانوا من أَهل البلاد! فإلى الله المشتكى من ضَعْفِ الإيمان، وغلبةِ الهوى، الذي لم يُفِد فيه حتى التوحيد! لغَلَبَةِ حُبِّ المال على أَهله إلا من شاءَ الله! وقليلٌ ما هم، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول: فِتنَةُ أُمَّتي: المال». انتهى كلامهم.

تطاولٌ على المسئولين:

وقالوا في هذا الكتاب أَيضاً، في طبعتيه أَيضاً في ص ١٥٦، في معرض انتقادهم على إنشاءِ حكومة المملكة العربية السعودية الموقَّرةِ جداراً على قبور شهداءِ أُحُد، لمنع الدخول إلى القبور والتمسح بها، مدَّعين قُرْبَ عَوْدَةِ مَظَاهر الوثنية إلى أَرض دولة التوحيد! في ظل الحكم السعودي القائم، قالوا ما أَضعه بالحرف الواحد بين قوسين:

«كانت الأرض التي فيها قبرُ حمزة وغيرِهِ من شُهَداءِ أُحُد، لا بناءَ عليها إلى السنة الماضية ١٣٨٣هـ، ولكن الحكومة السعودية في هذه السنة، أَقامتْ على أَرضهم حائطاً مَبْنِيًّاً بالإسمنت، وجَعَلَتْ له باباً كبيراً من الحديد من الجهة القِبلية، ونافذةً من الحديد في آخر الجدار الشرقي، فلما رأَينا ذلك استَبْشَرْنا شَرًّاً! وقلنا: هذا نذيرُ شَرّ! ولا يَبعُدُ أَن تكون توطئةً لإعادة المسجد والقُبَب على قُبُورهِم، كما كان الأمر قبل الحكم السعودي الأول، حين كان القومُ متحمِّسين للدين، عامِلين بأَحكامه، وهذا أَوَّلُ الشرّ!

وإذا استَمَرَّ الأَمرُ على هذا المنوال من التساهل في تطبيق الشرع، والتجرؤ على مخالفتِه، فلا أستبعدُ أَن تعود مَظَاهِرُ الوثنية إلى أَرض دولة

التوحيد! كما كان الشأْن قبلَ حكمها». انتهى كلامهم، وفيه تهجمهم على علماء المملكة وتطاولهم على المسئولين فيها.

التمادي في الكيد:

٥ ـ وفي منتصف السنة الماضية سنة ١٣٩٣، طبعوا في بيروت كتاباً، باسم «المقابلة بين الهدى والضلال»، ذكروا أَنه بقلم الشيخ عبد الرزاق حمزة، وتحقيق (عبد الله بن صالح المدني الفقيه)، في ١٧٢ صفحة، وهذا الاسم الثاني اسمٌ مستعارٌ، تذرعوا به لنيل مآربهم المريضة، ونسبوه إِلى العلم والفقه ـ مع أَنه اسمٌ لا مسمًّى له ـ ليَغُرُّوا به البريء خاليَ الذهن، الذي يثق بكل ما يقرأ، والذي ربما يُخدَع باسم المحقِّق الوَهْمي، بعد أَن أَضفوا عليه وصف العالم الفقيه.

ووزَّعوا هذا الكتاب أَولاً على بعض كبار العلماءِ في الرياض، فلقي مَا هو مقدَّر له من الاستهجان والاشمئزاز، ورُدَّ الذي تولَّى كِبْره فيه وفيما طبعه ووزَّعه قبله أَقبحَ رد من شخصية بارزة عارفة بما وراءَ الكتاب والكاتبين.

ثم جاءُوا يُوزِّعونه أَوائل هذا العام على فئة من القضاة، ولكنهم لسوءِ طويتهم، وفساد قصدهم أَخطأوا الطريق في توزيعه على السادة القضاة، فقد وقفوا من الكتاب موقفَ السادة العلماءِ الذين أَشرتُ إِليهم، فإن هؤلاء العلماء والقضاةأَعلم الناس بمداخل السوءِ والتلاعب والتزوير، وهم الذين لا يقيمون للكلاموزناً إِلا إِذا جاء على قواعد الشريعة الغراءِ، وهم الذين يَمِيزون الزيفَ ويردونه على أَهله، غير مغترين بمظاهرهم ولا دعاويهم.

ثم وزَّعوه على بعض طلبة العلم في المدينة المنورة، ثم على بعض رجال التعليم في الرياض بكمية كبيرة، ليوزع هؤلاء منها على غيرهم، ثم وزَّعوه على بعض طلبة العلم في كلية الشريعة بالرياض حيث أَقوم بالتدريس

فيها، مع جملةِ كتب من مطبوعات المكتبِ الذي يقف وراءَ هذه النشرات، ويُمدُّ هذه الحملاتِ كلَّها.

ثم وزَّعوه على بعض أَساتذة المعاهد العلمية، لعلهم يبلغون بذلك: أَغراضهم في هذا العام، ثم لما رأَوا السنة الدراسية أَوشكت على الانتهاءِ وخشوا أَن لا تتحقق لهم الأماني: قدَّموه هدايا بالعشرات لبعض الموظفين في بعض المؤسسات التعليمية بالرياض، راجين منه أَن يقوم بتوزيعه وتقديمه إِلى العلماء والأساتذة في كلية الشريعة بالرياض خاصة، وقد فَعَل ما رجوه منه.

ثم لما شعروا أَن أَمرهم في توزيع الكتاب قد انكشف جداً، وتحركت الأنظار إِليهم بالاتّهام والتساؤل؟! سلكوا طريقاً جديداً لتوزيع الكتاب حسبوها تُغيِّبُ أَشخاصَهم المتحركة بتوزيعه، فجعلوا يرسلون كميات كبيرة منه من الكويت، مختوماً عليها بخاتم بعض أَسماءِ دور النشر هناك العبارة التالية: «هدية مع خالص تحيات الدار. . . الكويت».

والذي يقرأ هذا الكتاب وما قبله من تلك الكتابات المتعددة، التي كتبوها في النشرات المختلفة التي ذكرتها هنا، يُدرك لأول وهلة وبدون جهد: أَنها من جهةٍ واحدة، ومن مصدرٍ واحد، ولغرضٍ واحد، هو الكيد والإِيذاء. . .

استعداء للسلطات وافتراء على المقامات:

ولا جديد في هذا الكتاب، سوى أَنهم لخَّصوا فيه ما افتروه في النشرات والكتب السابقة وأَحالوا إِليها، وحاولوا فيه استعداءَ السلطة، بعد أَن لم يفلحوا بالتأثير على كبار العلماءِ العارفين بما وراءَ الكتاب. وسوى ما أَوهموا به القراء البعيدين عن معرفة الواقع، بأَن لأعضاءِ الإفتاءِ والبحوث صلةً بتلك المقالة التي نُشرت في جريدة الدعوة، وسَلَفت الإِشارةُ إِليها، وذلك في قولهم في مقدمة الكتاب المذكور في ص **٢٢** منه:

«وكذلك نَشرت مجلة الدعوة لسان حال دائرة الفتوى والبحوث الإسلامية بحثاً مطولاً، في عددها ٣٢٣ الصادر بتاريخ ١٣٩١/٨/٢٨، ذَكَرتْ فيه الكوثري وتلميذَه أَبا غدة، بما هما من أَهله، مع أَن هذه المجلة هي لسان حال الهيئة الرسمية للشئون الدينية في بلادنا، ويَحتَلُّ علماءُ هذه الدار مكان الصدارة في العالم الإسلامي». انتهى كلامهم.

وكان لا بد من البيان:

وقد أَخبرني كثير من إخواني الأساتذة المحبين بخبر هذا الكتاب ووصوله إِلى أَيديهم، وأَنه قد كدَّر على كثير ممن لا يعلمون حقائق الأمور: نفوسَهم، وشوَّش عليهم خواطرهم، ورَغِب إِليَّ أُولئك الزملاء الأوفياء: أَن أَكتب كلمات حول هذا الموضوع، لئلا يغتر بعض القارئين بكلام الكائدين، فإِنَّ المسلم سليمُ الصدر غِرٌّ كريم، ومن يَسمَعْ يَخَلْ، وليس كلُّ واحد من قراءِ الكتاب يمكنني الوصولُ إِليه، لأشرحَ له الدوافع الكامنة وراءَ هذا الكتاب وما سبقه.

فرأَيتُ ذلك رأَياً سديداً يَصْدُرُ من إِخوة مخلِصين، فكتبتُ هذه (الكلمات) بإِيجاز وموضوعية، حِفاظاً على قلوب الإخوة والقراءِ من أَن تتأَثر بكلام الكائدين، لا رَداً عليهم، فللردّ حين آخر إِن شاءَ الله تعالى.

تثبُّتُ المسلم مما يُلقَى إليه:

وهناك نشرات ومقدمات وكتب أُخرى، نالوا بها مني ورموني فيها بالتُّهَم والأَباطيل للغرض نفسه، لم أَر أَن أَتعرض لذكرها الآن بُغيةَ الاختصار، وأَرجو أَن يكون في هذه (الكلمات) بيانٌ وافٍ لأولئك الذين لا يعلمون ما وراءَ الصورة الظاهرة، فيَدْفَعَهم هذا البيانُ المؤيَّدُ بالحقائق والشواهد والأرقام، إِلى تقوى الله عزَّ وجل فيما يقرأون أَو يسمعون، وإِلى التثبت مما يُلقَى إِليهم في مثل هذه المواقف، كما هو الشأن في كل مسلم بصير.

وأَراني مع رغبتي في الإِيجاز قد أَطلت، ولكن لا بد لي من أَن أَتعرض لبعض أمور مما نسبوه إِليَّ زُوراً وبهتاناً وهم يَعلمون ذلك حقَّ العلم، وأُعرِضُ الآن عما نالوني به في عِرضي وديني وعلمي وعقيدتي وخلقي، فأقول:

رَمَتْني بدائها . . . :

قد نسبوا إِلي في المقدمة المنحولة لكتاب «المقابلة بين الهدى والضلال» باسم المحقِّق الموهوم، فزعموا في ص ٤ و ٥ منها: «أَني أَلَّفتُ كتباً بأَسماءٍ مستعارة، مثل (أَبي حامد) و (أَرشد) و (الدكتور)، أَو غيرِ اسم أَصلاً مثل (التعقيب المفيد) و (براءَة الأشعريين). . .» إِلى آخر ما قالوه من البهتان.

وبياناً للحقيقة: أُعلِمُ كلَّ من يَنْشُدُ الحقَّ: أَني لستُ من أَهل هذا الخُلُقِ والحمدُ لله، والكائدون يعرفون ذلك عني حقَّ المعرفة، ولا داعي بي أَن أَختفي ــ على طريقتهم وصنيعهم ــ وراءَ أَسماءٍ مستعارة وكتبٍ لمجهولين، فهذا صنيعُ أَمثالهم الذين استمرؤوا التزويرَ في كتب الناس، فَسَهُل عليهم نَحْلُ الكتب لغير أَهلها، وتحت يدي الوثائقُ الناطقة بذلك عليهم، وهم إنما يفعلون ذلك لفِتَنٍ ومآرب لا تَخفى على كل ذي بصيرة، ولا تغيب عن كل عامل في ميدان الدعوة الإِسلامية.

زُوْر وبهتان :

ونسبوا إِليَّ في تلك المقدمة المنحولة لكتاب «المقابلة بين الهدى والضلال» في ص ٥ و ٨ «أَني قلت بكفر الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والشيخ ابن تيمية، والشيخ ابن القيم». هذا قولهم.

وهو من أَكذب الكذب وأَرخص الدس والتزوير، فليس تكفير الناس فضلاً عن العلماءِ من شيمتي ولا خلقي والحمد لله، فقد حفظني الله تعالى

بما أكرمني به من عقل، وما أدَّبني به من أدب الإسلام: أن أقع في هذه المكفِّرات والموبقات، فإنه من كفَّر مؤمناً فقد كفر.

وهؤلاءِ أئمة أعلام، من خيار المؤمنين العالمين العاملين الداعين إلى الله تعالى، ومن أراد أن يُحكم عليه بالسَّفَه والعَتَه فليكفر أئمةَ الإسلام، وهؤلاءِ السادة الأعلام.

وهَبْني قلتُ: هذا الصُّبحُ ليلٌ   أيَعمى العالَمون عن الضياءِ؟!

٦ ــ وأرى من المفيد جداً أن أنقل نَصَّ عبارتهم في المقدمة المنحولة للكتاب المذكور، ليَشهد القارىء الكريم: الدَّسَّ الذي سلكوه، والافتراءَ الذي صنعوه، وليكون ذلك نموذجاً سادساً من الافتعالات والأكاذيب.

قالوا في المقدمة المذكورة في ص ٤ ــ ٥ ما نصه بالحرف الواحد أضعه بين هلالين: «لقد قام عبد الفتاح أبو غدة بحملات باسمه الصريح فيما يَطبع من الكتب حيناً، وأحياناً تحت أسماءٍ مستعارة، مثل (أبي حامد) و (أرشد) و (الدكتور)، أو غيرِ اسم أصلاً، كما فعل أبو غدة نفسه فيما سماه (التعقيب المفيد) و (براءة الأشعريين)، وغيرِ ذلك من نشرات ورسائل، وتقاريرَ إلى مختلِفِ الجهات[1]، وإليك مطلع كتابه الأول، قال أبو غدة متستراً: فهذه

(١) أقول: لقد انكشف بُهتانُهم واختلاقُهم عليَّ في هذا، فقد طَبَعَتْ دار الشباب للطباعة والنشر ١٥ شارع العباسية بالقاهرة سنة ١٩٨٤ كتاباً عنوانُه «تشنيف الأسماع بشيوخ الإجازة والسماع»، جَمْع أبي سليمان محمود سعيد بن محمد ممدوح الشافعي، جاء في الصفحة ٣٧٥ منه، في ترجمة (الشيخ محمد العربي بن التُّبَّاني المغربي ثم المكي) المتوفى بمكة المكرمة سنة ١٣٩٠ ما يلي:

«ومما انفَرَد به في هذا العصر ردُّهُ على العلامة ابن القيم ــ المسمى: التعقيب المفيد على هَدْي الزُّرَعي الشديد ــ في بعض مسائل ذكرها في «زاد المعاد»، وكتابٌ آخَرُ كبيرٌ اسمُهُ «براءة الأشعريين من عقائد المعتزلة والمخالفين»، وهما من كتبه التي طُبِعَتْ ونَفِدَتْ». انتهى ما في كتاب «تشنيف الأسماع»، وبهذا النَّصِّ على اسم مؤلِّف =

خلاصة علمية في عقائد محمد بن عبد الوهاب ومقلديه، جمعت أَكثر دررها المنقول والمعقول من تحقيق علماءِ الإِسلام، وقد رَدَّ بعض أَتباع الأئمة الأربعة عليه ــ محمد بن عبد الوهاب ــ وعلى مقلديه، بتآليف كثيرة جيدة ــ كذا ــ

وتنحصر أمهات عقائد محمد بن عبد الوهاب ومقلديه في أَربع: ١ ــ في تشبيه الله بخلقه. ٢ ــ وتوحيد الألوهية والربوبية. ٣ ــ وعدم توقيرهم النبي. ٤ ــ وتكفير المسلمين ــ كذا ــ وهو مقلِّد فيها ابنَ تيمية، وهو مخترع توحيد الألوهية والربوبية، الذي تفرَّعَ عنه عدَمُ توقيرهم للنبي

= الكتابينِ المذكورينِ تزدادُ الشواهدُ والأدلَّةُ على كذبهم وافترائهم ودَسِّهم عليَّ، فالله حَسِيبُهم وهاتِكُ سِترهم فيما يفترون.

وهذان الكتابان: «التعقيب المفيد» و«براءة الأشعريين» مطبوعان بمطبعة العَلَم بدمشق سنة ١٣٨٧ = ١٩٦٧، ومكتوبٌ عليهما «تأليف أبي حامد بن مرزوق رحمه الله تعالى».

وأما (أرشد) فانكشف كذبُهم وبُهتانُهم فيه أيضاً، فقد طَبعَتْ مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع في الكويت سنة ١٤٠٣ كتاباً بعنوان «الألباني: شُذوذُه وأخطاؤه، بقلم محدِّثِ الديارِ الهنديةِ والعالَم الإسلامي حبيب الرحمن الأعظمي»، جاء في الصفحة ٥ و٨ من تقدمة الناشر ما يلي: «طُبِع هذا الكتابُ أولَ طبعة بالهند، ثم طُبِع في بيروت، قام بطبعه بعضُ الناشرين الغيورين هناك، ووزَّعَه مجاناً حِسبةً لله تعالى، لكشفِ أضاليل الألباني، فأَعطَى أفضلَ الأثر، وأنقَذَ الله تعالى به أناساً كانوا مُغَرَّرين ومَغْرُورين بالألباني وفِرقتِه، وعادوا إلى احترام السلف، واتِّباع الأئمة المتبوعين.

وإنما نُشِرَ هذا الردُّ قبلَ هذه الطبعة باسم (أرشد السلفي)، وهو اسمُ الكاتب الذي كان الشيخ حبيب الرحمن أملاه عليه. ولمَّا رُوجِعَ الشيخُ في ذلك، وأُخبِرَ أَنَّ لاسمِهِ أثراً في قبول الكتاب وتنزيلِهِ المنزلةَ العلميةَ اللائقة، سمَحَ بأن يُذكَر اسمُهُ على الكتاب، ليكون أقضَى على شَغَبِ الألباني وأباطيلِهِ وشذوذِهِ وأخطائِه. . .». انتهى. وهذا شاهد آخر من شواهد كذبهم وافترائهم. وأما (الدكتور) فلا أعلم من يَعنون به؟! (هذه التعليقة لم تكن في الطبعة الأولى من رسالتي هذه في طبعة سنة ١٣٩٤).

وتكفيرُهم المسلمين الخ ما كَذَبَ به. وهكذا استمر بهذه الأباطيل والأكاذيب. تسميته: الإمام ابن تيمية بـ (الكافر، المفتون، الشاذ، الضال...)، وتسمية العلامة ابن القيم بـ (المتعصب، الشاذّ، المعتوه، الوَقِح، المزوِّر...)، انظر (التعقيب المفيد)، وتهجمه على الشيخ محمد عبد الوهاب بأكثر من هذه الألفاظ، وأَخفُّها: الجهلُ، والكفرُ، وأَتبعَ ذلك على كل من سَبَق هؤلاءِ من الأئمة ممن قال بما قالوا، وعلى من جاءَ بعدهم كذلك». انتهى كلامهم بالحرف تماماً.

وهذا ـ والله ـ هو البهتان الصريح بعينه، يُساق بأسلوب ملفوف مُلفَّق محشو بالكذب والافتراءِ، لإثارة علماءِ هذه الديـار المقدسة وتأليبهم عليَّ، إذ من المعلوم أَن لهؤلاءِ الأعلام الثلاثة الشيخ ابن تيميـة والشيخ ابن القيم والشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى مكانةً عظيمة في قلوب علماءِ هذه البلاد، فافتعل أولئك: هذا البهتان عليَّ ليثيروهم نحوي، رجاءَ أَن يبلغوا تحقيق مآربهم. والله يشهد أَنهم يعلمون من أَنفسهم أَني بريءٌ من هذا وأَنهم مفترون.

الحق لا يَخفى:

ولستُ بحاجة إلى أَن أَرد هذه التهم، وأَدفع هذه الأباطيل، فهي تكشف عن نفسها بنفسها، على أَني أتحدَّى أَيَّ إنسانٍ أَن يُثبِتَ أَني قلتُ شيئاً ـ من هذا الذي ادَّعوه عليَّ زوراً وبهتاناً ـ في كتبي أَو دروسي، أَو فيما حقَّقتُ أَو أَلَّفتُ، ولقد مضى عليَّ في هذه المملكـة الكريمة نحوُ عشرِ سنوات، سمعني المئات من الطلاب، وعاشرني عشرات من الزمـلاءِ والأساتـذة، وخالطت الكثير من العلماءِ والناس وخالطوني، فأين من سمع مني شيئاً من هذه الدعاوي الباطلة؟ ولو كنت أُضمر شيئاً من هذا لظهر واستبان، وتبدَّى لِلعِيان، وقديماً قالوا: ما فِيك، ظهر عـلى فِيـك، فـالحقُّ أَبلج، والباطل لجلج، وسُلوكي مكشوف، وخُلُقي معروف، والحمد لله.

قل هاتوا برهانكم :

أَما قولُ الناحلين تلك الكتب إِليَّ في المقدمة المذكورة: «وإِليك مطلع كتابه الأول قال أَبو غدة متستراً. . .» إِلى آخر ما نقلته من كلامهم قريباً، فهذا بهتان واضح واتهام ساقط، فأَين الكتاب الذي قلت فيه هذه الافتراءَات، ويَحمل اسمي ومسئوليتي عما فيه؟ أَما أَن يَنحلوا اسمي كتاباً أَو كتباً مزوَّرة بأَسماءٍ يقولون: إِني صاحبها، فما أَهونَ هذه الدعوى؟ وأَهونُ منها: سُقوطُها وإِسقاطُها إِلى الأرض! «ولو يُعطَى الناسُ بدعواهم، لادّعى رجالٌ دِماءَ قوم وأَموالَهم. . .».

وقد رَسَمَ الله تعالى طريقَ ثبوت الدعوى فقال: (قل هاتوا برهانكم إِن كنتم صادقين). فليتبصر القراءُ الذين يقرؤون تلك الأباطيل: هذه الطريقَ التي رسمها الله تعالى لقبول الادّعاءَات والتَّقوُّلات، ولْيعلموا أَنَّ وراءَ ذلك الدّسِّ والتزويرِ غاياتٍ سيئةً معروفة.

كشف الأباطيل :

وفوق هذا السقوط المكشوف لدعاويهم الباطلة، أَسوق بعض الدليل على كذبهم وافترائهم، مع أَنه أَمر مكشوف لكل من يقرأُ كلامهم بتمهل وأَناة، فأَقول:

أَما دعواهم أَني مؤلف هذه الكتب، فأَقول في وجهها: (سبحانك هذا بهتان عظيم). وهذا البهتان العظيم ينخرط في رقابهم حتى يقيموا الدليل على مدَّعاهم الباطل، وما هم ببالغين ذلك إِلا بحَبْلٍ جديد من أَكاذيب جديدة، يُلقون بها للقراءِ على طريقتهم التي عُرفت بالدس والتزوير، وأَصبحتْ لا تسري على الناس العارفين بهم. وهم الذين أَلَّفوا بأَسماءٍ مستعارة، ودَسُّوا في كتب الناس ما لا يعلمون ولا يرضون، كما تقدمت الإِشارة إِلى بعضه في أَوائل هذه (الكلمات)، فليعد القارىء الكريم إِليه.

وأَما دعواهم أَني كفـرت الشيخ محمـد بن عبد الـوهاب، والشيخ ابن تيمية، والشيخ ابن القيم. فهي دعوى باطلة لا تحتاج إلى دليل.

إمام الدعوة:

فأَما الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، فهو إمام الدعوة غيرَ منازع، وقد كان داعيةً إلى الله تعالى، وقام بالدعوة بحاله ومقاله وعلمه وقلمه، وما كنتُ في كل حين إلا مقدِّراً فضله وعلمه وقيامه بالدعوة إلى الله تعالى، تلك الدعوة التي أَعطت أَطيب الثمرات في إعلاءِ كلمة الله تعالى، وتصفيةِ العقيدة من الشوائب والخرافات، والتي تتجلَّى آثارها في نشر العلم وكثرة العلمـاءِ، وانتشار المعاهد العلمية التي هي أَثر من آثار دعوته الخيِّرة، كما تتجلَّى آثارها في مؤازرةِ الإسلام والمسلمين في كل بلد.

سقوط بهتانهم:

وأَتحدَّى أَن يُثبِتَ أَحدٌ أَني ذكرته في كتاب من كتبي بإساءَة أَو انتقاص. ودعوى أولئك التي زعموا فيها أَني كفَّرتُه: ساقطة إلى الأرض، ولم تَصْدر إلا منهم، يَكذبون على الناس، ويَنحلون الكتبَ لغير أَصحابها، ثم يَرمون غيرَهم بالبهتان والأباطيل، ويَنْسَوْن: أَنَّ لعنة الله على الكاذبين.

شيخ الإسلام:

وأَما الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى، فهو شيخ الإسلام وإمام من كبار أَئمة الدين. ودعوى أُولئك الكائدين أَيضاً أَني كفَّرتُه، يَرُدُّها على كاذبيها ومُصدِّريها: ما شَحَنْتُ به كتبي وتعليقاتي من النقول الكثيرة عنه مع وصفي له بالإمامة والتكريم والإجلال، والاعتدادِ بأَقواله وآرائِه، مع الترحُّم عليه عند ذكره، ودِفاعي عنه عند من أَخطأَ في التعبير عن مقامه العلمي، وإيرادي لذكره في بعض كتبي على أَنه النموذج الذي جدَّدَ سِيرةَ السلف الصالح بسيرته الفذَّة. وكلُّ هذا موجود في كتبي المطبوعة المنتشرة، بين أَيدي القراءِ في

داخل المملكة وخارجها، قبلَ شَنّ أولئك الكائدين هذه الحملةَ المدخولة عليَّ بسنوات.

وأَنا أُحيل القارىء الكريم إلى بعض كتبي، لينظر فيها ذكري لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بما ذكرتُه آنفاً، فلينظر القارىء تعليقي على كتاب «الأجوبة الفاضلة عن الأسئلة العشرة الكاملة» للشيخ محمد عبد الحي اللكنوي الهندي، وهو مطبوع بحلب من عشر سنوات سنة ١٣٨٤، فلينظر منه الصفحات التالية، وفيها تعليقاتي واستشهاداتي بكلام شيخ الإسلام، مع الإجلال والتوقير والترحم عليه كما هو الشأن في الأدب مع كل عالم وإمام، وتلك الصفحات هي ٤٧، ٧٨، ٨٠، ٩٢، ٩٦، ٩٧، و٩٨، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٩، ١١١، ١١٣، ١٢٠.

ولينظر القارىء الكريم أَيضاً تعليقاتي على كتاب «المنار المنيف في الصحيح والضعيف» للإمام ابن القيم تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله تعالى، وقد حقَّقتُه وخدمتُه وفَرَغْتُ منه في ١٢ من رجب سنة ١٣٨٩، وتمَّ طبعه سنة ١٣٩٠ في بيروت، وهو في أَيدي طلاب العلم في مكة والمدينة والرياض وغيرها من مدن المملكة يباع ويُوزَّع، فلينظر القارىء الكريم منه ما ذكرته عن شيخ الإسلام ابن تيمية في ترجمةِ مؤلفه الإمام ابن القيم، ولينظر منه أَيضاً الصفحات التالية ص ٥٨، ٥٩، ٦٩، ١٠٥، ١٢٤، ١٣٥.

ولينظر القارىء الكريم أَيضاً تعليقاتي على كتاب «قواعد في علوم الحديث» للعلامة الشيخ ظَفَر أَحمد التَّهانَوِي، وهو مطبوع في بيروت، وقد بُدىء بطبعه سنة ١٣٩٠ وفُرغ منه أَوائل سنة ١٣٩٢، فلينظر القارىء فيه المواطن التالية ص ١٠٠، ١٠١، ١٠٣، ١٠٦، ١٠٨، ١١٣، ١٤١، ١٦٨، ٢٢٣، ٣٥٤، ٤٤٠، ٤٤١.

وأَكتفي بهذه الإحالات إلى مواطِن ذكرِ شيخ الإسلام ابن تيمية مُبَجَّلاً

معظماً مقتدىً به، في الكتب الثلاثة السابقة الذكر من كتبي الكثيرة دفعاً للإطالة، وأَنقلُ للقارىء الكريم بعد قليل نَصَّينِ من كلامي وتعليقاتي في بعض كتبي قبلَ سنوات عديدة، ليَعرفَ كلُّ من وقف على هذين النصَّين: مقامَ شيخ الإسلام ابن تيمية عند كاتب هذه السطور، ولينكشف له إلى ما سبق ذكرُه من الأدلة: تزويرُ أولئك المختفين وراءَ الأسماءِ المستعارةِ والكتبِ المنحولة والأساليب الملتوية، أَنقلُ إلى القارىء الكريم النَّصَّيْنِ اللذين أَشرتُ إليهما بعد هذه الكلمات التالية:

انتصاري لشيخ الإسلام في أحرج الظروف:

لما كنت في (المعتَقَل) في سنة ١٣٨٦ في السجن الحربي في بلدة تدمر، قرب مدينة حمص من بلاد الشام، مع من اعتُقل من رجالات البلاد السورية، طالعتُ كتاب «قواعد في علوم الحديث» لمؤلفه الشيخ ظَفَر أحمد التهانوي، أحد كبار علماءِ الهند الذي يعيش إلى يومنا هذا، فرأَيته كتاباً مفيداً جديراً بالخدمة والنشر.

وأَثناءَ مطالعتي لَهُ وأنا في (المعتَقَل)، وقفتُ على عبارة نافرة قالها المؤلف في مقام علمِ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه تعالى، فاستكبرتها وأَنكرتها مع علمي بالمراد منها في تعابير علماءِ الهند، فظاهِرُها التصغير، وواقعُها المرادُ بها: التفضيلُ لغيره عليه، فكتبتُ إلى الشيخ المؤلف رسالةً بشأن تلك العبارة من داخلِ (المعتَقَل)، وسلَّمتها بطريقةٍ خَفِيَّةٍ لبعض المحبين الذين زاروني في (المعتَقَل)، ليرسلها إلى المؤلف في كراتشي حيث يُقيم، ففعل.

وجاءَني الجوابُ والاعتذار عنها من المؤلف وأنا في (المعتقل)، فأَثْبَتُّه في تعليقاتي على الكتاب المذكور، دفاعاً عن مقام شيخ الإسلام ابن تيمية في نفسي، فأنا أَنقل عبارتي التي علَّقتها منذ ثماني سنوات، من كتابي المطبوع

المتداوَل داخل المملكة وخارجها، واسمه «قواعد في علوم الحديث» للعلامة الشيخ ظفر أحمد التهانوي، من ص ٤٤١، وإليك نصَّ تعليقي فيه بالحرف، والكلامُ أولاً للمؤلف، والتعقيب عليه من كلامي وقلمي.

أقوالي في ابن تيمية:

«قلتُ ــ القائل المؤلف ــ : ومما رَدَّه ابن تيمية من الأحاديث الجياد، في كتابه «منهاج السنة» حديثُ رد الشمس لعلي رضي اللّه عنه، ولما رأى الطحاويَّ قد حسَّنه وأَثبته، جعَلَ يجرح الطحاويَّ بلسان ذلق وكلام طلق، وأَيمُ اللّه إنَّ درجة الطحاوي في علم الحديث فوق آلافٍ من مثل ابن تيمية، وأَين لابن تيمية أن يكون كتُراب نعليه؟ فمثلُ هؤلاءِ المتشدِّدين لا يُحتجُّ بقولهم إلا بعد التثبُّت والتأمل، واللّه تعالى أعلم». انتهى كلام المؤلف التهانوي.

وقد علَّقتُ على هذا النص بما يلي: «قولَةُ المؤلِّف في حق الإمام ابن تيمية بالنسبة للإمام الطحاوي رحمهما اللّه تعالى: «وأَين لابن تيمية أن يكون كتُراب نعليه؟»، هي من كلمات علماءِ الهند ولَهْجَتِهم كما سمعتُها منهم مراراً، يقولونها في بيان التفاوت بين شخصين فاضلٍ وأَفضل، ولا يَقصدون بها الإزراءَ بالمفضَّلِ عليه والانتقاصَ له، كما يتبادر لفهمنا نحن معشر العرب في الشام ومصر وغيرهما.

وسيأتي في المقطع ــ ١٢ ــ ص ٤٦١ من هذا الفصل قولُ المؤلِّفِ عن نفسِهِ في جانب بيان فضل ابنِ القيم تلميذِ الشيخ ابن تيمية: «فواللّهِ لأن نَصير تُرابَ نَعْلَيهِ أَرفَعُ لمرتبتنا». انتهى.

ومع معرفتي بعادة علماءِ الهند وقصدهم من هذا التعبير، كتبتُ إلى المؤلف من (المعتَقل) بوساطة بعض أَصحابي الذين زاروني فيه، بشأن كلمته هذه في الشيخ ابن تيمية رحمه اللّه تعالى، فكتب إليَّ رعاه اللّه بخطِّ يدِهِ ما يلي:

«وقد كنتُ أَمرت بعض أَصحابـي أن يضربوا على هذه العبارة في حق الإمام ابن تيمية رحمه اللَّه تعالى، ولكنه نسي وأنساني الشيطانُ أن أَذكره، فاضربوا أنتم على هذه العبارة، واكتبوا في الهامش: إنَّ المؤلف رجع عن تلك العبارة، وكانت من هفوات القلم، وهو يستغفر اللَّه ويتوب إليه من سُوءِ الأَدب في حقِّ أَئمة الإسلام، ومنهم الإمامُ ابن تيمية الحراني شيخُ الإسلام، رحمه اللَّه تعالى وأَدخلَهُ وإيانا دارَ السَّلام».

انتهى ما علَّقتُه وأنا في (المعتَقل) في سنة ١٣٨٦ على كتاب: «قواعد في علوم الحديث»، وهو مطبوع متداول، فهل يَفعلُ هذا من (المعتقَل) من يُكفِّرُ شيخَ الإسلام ابنَ تيمية؟! (سبحانك هذا بهتان عظيم).

هذه العبارةُ الأُولى أَو النصُّ الأَولُ من النصَّين اللذين وعدتُ القارىء الكريم بنقلهما له، ليُدرِكَ منهما مقامَ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه تعالى عندي، إلى جانب تلك النصوص التي أَشرتُ إلى مواطنها في بعض كتبـي إشارة فقط.

النصُّ الثاني من تعليقاتي وثنائي على شيخ الإسلام ابن تيمية، أَنقلُه من كتابـي المطبوع المتداول أيضاً من سنوات عديدة، وهو «رسالة المسترشدين» للمحاسبـي في طبعته الثانية سنة ١٣٩١ في بيروت، فقد قال المحاسبـي في رسالته المذكورة في ص ١٠٢ ـ ١٠٣، وهو يتحدَّثُ عن صِفاتِ المؤمنِ العالم العاقل المخلِصِ، المختشي من اللَّه تعالى الصادِقِ مع اللَّه تعالى في السَّلَف المتقين، ما يلي:

«وعَلامةُ ذلك في الصَّادِقِ: إذا نَظَرَ اعتبَر، وإذا صَمَتَ تفكَّر، وإذا تَكلم ذَكَر، وإذا مُنِعَ صَبَر، وإذا أُعطِيَ شَكَر، وإذا ابتُلِيَ استَرْجَع، وإذا جُهِلَ عليه حَلُمَ، وإذا عَلِمَ تواضَع، وإذا علَّم رَفَق، وإذا سُئِلَ بذَلَ، شِفاءٌ للقاصد، وعَوْنٌ

للمسترشِد، حليفُ صِدق، وكهفُ بِرٍ، قريبُ الرِّضا في حق نفسه، بعيدُ الهِمَّة في حق اللَّه تعالى.

نيتُه أَفضلُ من عمله، وعمَلُه أَبلغُ من قوله، موطِنُه الحق، ومَعقِلُه الحياء، ومعلومُه الورع، وشاهِدُه الثقة، له بصائرُ من النور يُبصِرُ بها، وحقائقُ من العلم يَنْطِقُ منها، ودلائلُ من اليقين يُعَبِّرُ عنها». انتهى كلام الحارث المحاسبي في «رسالة المسترشدين». وقد علَّقتُ عليه ما يلي بالحرف:

«ما أجملَ هذه الصفات وأَجلَّها؟ وما أعظمها مجتمعةً متحققة في العبد المسلم؟ وقد كان في سلفنا الصالح من هذا النوع النفيس أَعدادٌ لا تُحصى.

ورحم اللَّه تعالى شيخَ الإسلام ابنَ تيمية، إذ جَدَّدَ بعظيم سيرته تاريخ الأَسلاف في هذه الصفات، فإنه لما نَزلَتْ به المِحنة، وحُبِسَ في قلعة دمشق، وقُطِعَ عن الناس، وسُجن معه تلميذه ابن القيم منفرداً عنه حتى مات الشيخ في السجن: كانت حالُه في ارتياح وسُرور ورضاً غامر، وكان كما قال المؤلف رحمه اللَّه تعالى: «... له بصائرُ من النور يُبْصِرُ بها، وحقائقُ من العلم يَنْطِقُ منها، ودلائلُ من اليقين يُعبِّرُ عنها»، فكان السجنُ له خلوة، وكان يشكر اللَّه على ذلك شكراً عظيماً...

يصف ابنُ القيم في كتابه «الوابل الصيب» ص ٦٦ ـ ٦٧ حالَ الشيخ وحالَ نفسه آنذاك فيقول: «قال لي مرة: ما يَصنَعُ أَعدائي بي؟ أَنا جَنَّتي وبُستاني في صدري ـ يعني بذلك إيمانَه وعِلمَه ـ، أَين رُحتُ فهي معي لا تفارقني. إِنَّ حَبْسي خلوة، وقَتلي شهادة، وإِخراجي من بلدي سِياحة. وكان يقول في مَحْبِسه في القلعة: لو بَذَلْتُ مِلءَ هذه القلعة ذهباً ما عَدَل عندي شُكرَ هذه النعمة، أَو قال: ما جزيتُهم على ما تَسبَّبوا لي فيه من الخير.

وكان يقول في سجوده وهو محبوس: اللهم أَعِنِّي على ذكرك وشكرك وحُسنِ عبادتك ما شاءَ اللَّه ـ أَي كثيراً جداً ـ.

وقال لي مرة: المحبوسُ من حُبِسَ قلبُه عن ربه تعالى، والمأسُورُ من أَسَرَه هواه. ولمَّا دخل القلعة وصار من داخل سُورها، نَظَرَ إليه فقال: (فضُرِبَ بينهم بسُورٍ له بابٌ باطِنُه فيه الرَّحْمَةُ، وظاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ العذاب).

وعَلِمَ اللَّه: ما رأَيتُ أحداً أَطيبَ عيشاً منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش، وخِلافِ الرفاهية والنعيم بل ضدهما، ومع ما كان فيه من الحَبْس والتهديد والإِرْجَاف، وهو مع ذلك من أَطيب الناس عيشاً، وأَشرحهم صدراً، وأَقواهم قلباً، وأَسَرِّهم نفساً، تلوحُ نَضرةُ النعيم على وجهه.

وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءَت منا الظنون، وضاقت بنا الأَرض، أَتيناه، فما هو إلا أَن نراه ونَسمع كلامه، فَيَذهبَ عنا ذلك كلُّه، وينقلبَ انشراحاً وقوةً ويقيناً وطمأنينة، وكان يقول: إنَّ في الدنيا جنة من لم يَدخلها لا يَدخل جنة الآخرة.

فسبحان من أَشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أَبوابها في دار العمل، فأَتاهم من رَوْحِها ونسيمها وطيبها ما استَفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها». انتهى النص الثاني الذي أَشرت إليه وعلقته على «رسالة المسترشدين» للمحاسبي المطبوعة من أَربع سنوات، وقد سقت هذا النص لبيان صفات السلف التي تحدث عنها المحاسبي، وجدَّدها شيخ الإِسلام ابن تيمية في سيرته رحمه اللَّه تعالى. فأَين دعوى أولئك الكائدين أنـي أكفره؟ حاشاه من هذا ورحمه اللَّه تعالى، ورزقنا التأَسِّيَ به فيما يُلمُّ من مِحَن وابتلاءٍ واعتداء وافتراء.

الإِمام ابن القيم:

وأَما الشيخ ابن القيم رحمه اللَّه تعالى، فهـو إمام من أَجلَّةِ أئمـة المسلمين، ودعوى أُولئك الحانقين أَني كفَّرتُه، يَرُدُّها عليهم أَسوأَ رَدٍّ نُقُولي الكثيرةُ عنه في تعليقاتي وكتبـي، وقيامي بخدمة كتابه «المنار المنيف في

الصحيح والضعيف»، وإبرازُه بالمظهر اللائق به، وترجمتي له الترجمة الكريمة الطافحة بالإجلال والتقدير والمحبة والاحترام. وسأشير إلى مواطنِ تلك التعليقات التي نقلتُها عن الإمام ابن القيم رحمه اللّه تعالى في بعض كتبي، بعد أن أنقل هنا نصَّ الترجمة التي كتبتُها وقدمت بها لكتابه «المنار المنيف»، وهو مطبوع في بيروت سنة ١٣٩٠، فقد قلت في ص ٧، ٨، ٩، ما يلي بالحرف الواحد:

أقوالي في ابن القيم:

«ترجمةُ المؤلف: هو الإمام المحقِّق البارع الفَذُّ المُتْقِن المتفنِّن، ذو الذهن الوقاد، والقريحة السيالة، والقلم العذب البليغ المِطواع، والبيانِ المشرق الحيِّ الأَخّاذ، والروحانيةِ الفياضة؛ الشيخُ شمس الدين أبو عبد اللّه محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، المشهور بابن قيم الجوزية، الدمشقي الحنبلي رحمه اللّه تعالى ورضي عنه. واشتهر بابن قيم الجوزية، لِمَا أَنَّ والده ـ وهو عالم مشهور بعلم الفرائض ـ كان قَيِّماً للمدرسة الجَوْزية الكائنة اليوم في سُوق البُزُورية بدمشق، فعُرف الشيخ (بابن قيم الجوزية).

وترجمة هذا الإمام باستيفاءٍ تَخرج في مجلَّد كبير، وهو جدير أَن تُخرَج عنه دراسة شاملة: في حياته وإمامته وآرائه وفتاواه وانفراداته وتلامذته ومؤلفاته، وأَثره الفكري الحيِّ في صفوف أَهل العلم من زمنه إلى يومنا هذا، فلقد كان أَبو عبد اللّه مقتدىً به على الأَجيال المتعاقبة، وقَبَساً من نور شيخه الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما اللّه تعالى.

وأنا سأجتزىء بسطور من ترجمته، بقدر ما يتسع المقام فأقول: وُلِدَ هذا الإمامُ سنة ٦٩١ في قرية زُرَع، من قرى حَوْران قرب دمشق، وتلقَّى العلمَ عن مشايخ تلك الديار في عصره، فسَمِعَ الحديث من الشهاب النابلسي العابر، والقاضي تقي الدين بن سليمان، وعيسى المطعم، وأَبي بكر بن

عبد الدائم، وإِسماعيل بن مكتوم، وفاطمة بنت جوهر، وغيرهم. وقرأ العربية على أبـي الفتح والمجد التونسي، وقرأَ الفقه على المجد الحراني، وأَخذ الأُصول عن الصفيّ الهندي، وأَخذ علم الفرائض عن أَبيه وكانت له يَدٌ باسطةٌ في هذا العلم.

وقرأَ على الشيخ تقي الدين بن تيمية شيخِ الإِسلام، ولازَمَه ستَّ عشرةَ سنة، منذ عاد الشيخ من مصر سنة ٧١٢ إلى وفاته سنة ٧٢٨، وكان الشيخ ابن القيم إِذ ذاك في ريعان شبابه، وذِروةِ قوَّته ونشاطِهِ واكتمالِ مَداركه فقد كانت سِنُّهُ حينَ عودة الشيخ إلى الديار الشامية ٢١ سنة، مع الاستعداد الفِطري العلمي الكامِلِ الذي مَنَحَهُ اللّه إِياه، والحافظةِ القوية العجيبة، والقُدْرةِ الباهرة على هَضْمِ المشكلات العلمية وتذليلها، وتحريرِ مواضعِ النزاع منها، وحُسْنِ الفَصل فيها.

ولا ريب أَنه ازداد من ذلك وتَقوَّى فيه من ملازمته للشيخ ملازمةَ الظل للشاخص ١٦ سنة، يَنْهَلُ ويَعُلُّ من غزير علومه، ويتضلَّع ويتَروَّى من عظيم مَداركه وفهومه، حتى صار لسانَ حاله، والمعروف بالتلمذة عليه من بين العديد الكثير من سائر تلامذته، وهو الذي هذَّب كتبه ونَشَر علمه. ولمَّا حُبِسَ الشيخ في المَّرة الأَخيرة في قلعة دمشق، حُبِسَ معه، منفرداً عنه، ولقي من الشدائد والمِحَن الشيءَ الكثير، ولم يُفرَج عنه إلا بعد وفاة شيخه رحمهما اللّه تعالى.

وقد تلقَّى العلمَ عن ابن القيم ناسٌ كثيرون في حياة شيخه، وإِلى أَن مات، وانتفعوا به، وغَدَا من شيوخ مِصْرِهِ وعَصْرِهِ، وممن تلقَّى عنه الحافظُ ابنُ رجب الحنبلي، وقد ترجم له في كتابه «ذيل طبقات الحنابلة» ترجمةً واسعة كريمة ٢ : ٤٤٧ ـ ٤٥٢ وحكى من فنون فضائله وعظيم إِمامته وكثير عبادته: الشيءَ الكثير، وعدَّد من مؤلَّفاته قرابة خمسين مؤلَّفاً ـ بل قد قاربت مؤلفاته المئةَ ـ

في التفسير والحديث والفقه والأُصول والعقائد والديانات والطب والنحو والعربية والأَدب والتصوف والأَخلاق والقضاءِ والفروسية وغيرها من العلوم والفنون.

وقد طُبع كثير من مؤلَّفاته، وكلُّها شاهدُ صدق بسعة باعه، وعظيمِ اطلاعه، ورسوخِ إمامته في العلوم التي أَلَّفَ فيها، وما تَرى له كتاباً في علم إلا وتجد له فيه مزيَّةً بارزة على من أَلَّف في ذلك العلم، وذلك فضلُ اللّه يؤتيه من يشاءُ».

هذا ما ترجمت به للإمام ابن القيم رحمه الله تعالى، في أَول كتابه «المنار المنيف» على سبيل الاختصار، وهذا الكتاب قد فرغتُ من خِدمته وتحقيقه في يوم الأَحد ١٢ من رجب سنة **١٣٨٩** بالرياض، كما هو مطبوع في آخر مقدمتي له في ص١٨، وهو مطبوع في بيروت سنة **١٣٩٠** كما أسلفت.

فأَين دعوى أُولئك أَني كفَّرته ـ رحمه الله تعالى ـ؟ وكيف يُجمع بين التكفير لمثل هذا الإمام والترحُّم عليه والترضِّي عنه وذكر مَحاسنه ومزاياه واحترامِه وإِجلالِه؟! وحُقَّ لكل قارىء بصير عندما يَقرأُ افتراءَهم بأَني كفَّرتهُ أَن يقول: (سبحانك هذا بُهتان عظيم).

وهذا الكلام الذي سُقته الآن في ترجمة الشيخ الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى، صَدَرَ مني قبل نحو ست سنوات كما يدل على ذلك تاريخ الفراغ للمقدمة كما سلف ذكره آنفاً، ولم أُنشئه الآن حديثاً ليمكن أَن يقال من قِبَلهم أَو قِبَل غيرهم: إِني قلتُه تصنُّعاً أَو تكلُّفاً، فهذا تاريخُ كتابتِه وطبعِه ينطق عليهم بالحق.

بقي عليَّ بعد هذا أَن أُشير إلى مواطن نُقُولي الكثيرة عن الشيخ ابن

القيم في كتبي التي خدمتها وحققتها أو أَلَّفتها، ونظراً لطول ذلك وكثرته، فإني أَرى أَن أَقتصر على الإشارة إلى ذلك في ثلاثة كتب من كتبي:

أَحدها: «رسالة المسترشدين» للمحاسبي، فأَرجو القارىء الكريم أَن ينظر تعليقاتي الطويلة العديدة على هذا الكتاب في طبعتِهِ الأُولى بحلب سنة ١٣٨٤، أَو طبعتِهِ الثانية في بيروت سنة ١٣٩١، ليشهد منها منزلة الإمام ابن القيم في نفس كاتب هذه (الكلمات)، وأَكتفي بالإحالة هنا إلى الطبعة الثانية لوجودها وشيوعها في المملكة، فلينظر القارىء منها المواطن التالية ص **٤٥، ٤٦، ٥٠، ٥٢، ٥٣، ٦٢، ٦٤، ٦٥، ٨١، ٨٢، ١٠١، ١٠٣، ١١١، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٦، ١٣٩، ١٥٥، ١٥٨، ١٨١.**

وأَذكر من تعليقاتي ونُقُولي عن الشيخ ابن القيم في «رسالة المسترشدين» نموذجين اثنين، فقد قلت في تعليقي عليها من عشر سنوات، في ص **٤٦** من الطبعة الثانية ما يلي بالحرف الواحد:

«وللشيخ الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى كلامٌ في الخَطْرة والفِكرة وما إليهما، في غاية الدقة والنفاسة، ما أَصدَقَه وما أَحقَّه؟ كأنه خَرج من مِشكاة النُّبوَّة، وأَنا ناقله لك ــ على طوله ــ راجياً منك أَن تتدبَّره، ففيه الخيرُ لك في دينك ودنياك، قال رحمه الله تعالى في كتابه «الفوائد» ص **٣١** و**١٧٣ ــ ١٧٤** «دافِع الخَطْرة، فإن لم تفعل صارت شهوة...». إلى آخر ما نقلته هناك نحو صفحتين.

وقلتُ في تعليقي عليها أيضاً من عشر سنوات، في ص **٥٢** من الطبعة الثانية: «قال الشيخ ابن القيم رحمه الله تعالى في «الفوائد» ص **٣٢**: «من خلقه الله للجنة، لم تَزل هداياها تأتيه من المكاره، ومن خلقه الله للنار، لم تَزل هداياها تأتيه من الشهوات». ثم نقلتُ عن كتابه «إعلام الموقعين» أَكثر من صفحتين. وهكذا سائر تعليقاتي عنه رحمه الله تعالى.

وثاني الكتابين الذي أُحيل القارىء الكريم إليه أيضاً، لمعرفة مقام الإمام ابن القيم عندي هو كتابُ «قواعد في علوم الحديث» للتهانوي، وقد سَلَف الكلامُ عنه وعن تاريخ خدمتي له ومكان طبعه، وأَني فرغت منه أَواخر سنة ١٣٨٩، فلينظر القارىء مواطن تعليقاتي عليه التي فيها ذكر الإمـام ابن القيم مع الإجلال والتقدير وبلفظ الإمامة مع الترحم عليه، في الصفحات التالية ٦٩، ٩٢، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٤، ١٠٨، ١١١، ١٥٠، ١٥١، ١٦٨، ٢١٣، ٢١٩، ٢٨٧، ٣٢١، ٣٥٧، ٣٦١، ٤٤٢، ٤٦٧.

وثالث تلك الكتب التي أُحِيلُ القارىء الكريم إلى تعليقاتي عليها، ليَعرفَ منها مقامَ الإمام ابن القيم في نفسي، هو كتابه «المنار المنيف في الصحيح والضعيف»، وقد سَبَق بيان تاريخِ خدمتي له وطبعِه، وأَرجو من القارىء أَن ينظر منه المواطن التالية ص ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٥، ٥٨، ٦١، ٦٩، ٨٠، ١٠٥، ١٢١، ١٣٢. وأَكتفي بهذا الإلماع في جنب كشف افترائهم عليَّ في مقام الإمام ابن القيم، رحمه الله تعالى وجزاه عن العلم والإسلام وأَهله خيراً.

وأَجدُني بهذا الإيضاح لموقفي من شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه الإمام ابن القيم رحمهما الله تعالى: معبِّراً عن حقيقة ما في نفسي لهما وعن الواقع، كما أَعتبر هذا الإيضاحَ بمثابة تعليق على كل ما يخالف ذلك أَياً كان مصدره.

افتراء كبير:

وأَما دعواهم عليَّ زوراً بأَني قلت: بجواز الاستغاثة بالموتى من دون الله تعالى، وطَلَبِ الغَوْثِ والعَوْنِ منهم، ومن زعم أَنها شِرْك أَو كُفْر: فهو كافر.

فهي من باطل دعاويهم عليَّ أَيضاً، وأُطالبُهم بالإثبات، وأَتحدَّاهم أَن يُثبتوا أَني قلتُ ذلك، فأَين قلت هذا؟ ومتى قلت هذا؟ ومن يشهد لهم بهذا؟

والدعوى لا تَثبُتُ إلا بدليل ولو قَلَّتْ، فكيف إذا كانت تتعلَّقُ بالعقيدةِ، أو رَمْي الإنسان بالكفر، أو رميه بالتكفير للناس؟!

ليخشَ الله تعالى من يَرمي غيرَه بالكفر، ليَبُلَّ غليلَه، ويَشفيَ غيظَه، ويَنتقمَ ممن يعاديه! (وما الله بغافلٍ عما يَعمَلُ الظالمون. . .).

وإني بحمد الله تعالى وفضله وتوفيقه: لم يَصدر مني شيءٌ مما ادَّعوه، وأُقرِّرُ ما قرَّره السادةُ العلماءُ والسلف من قبل، كالإمام أحمد وغيره من الأئمة رضي الله عنهم: لا تَجوزُ الاستغاثة بمخلوق، لا تَجوزُ الاستغاثةُ فيما لا يَقْدِرُ عليه غيرُ الله إلا بالله سبحانه، عملاً بالنصوص الصريحة المستفيضة في كتاب الله تعالى وسنةِ رسوله صلى الله عليه وسلم. وليس بـي حاجة إلى أَن أَسوق النصوص هنا، فليس المقامُ مقامَ استدلال وإثبات، وإنما المقامُ مقامُ كشفِ بُهتانٍ وافتئات.

ولما حقَّقتُ كتاب «الرفع والتكميل في الجرح والتعديل» للعـلامة عبد الحي اللكنوي، ورأيته في ص ٢٣٦ من الطبعة الثانية المطبوعة في بيروت سنة ١٣٨٨، يقول في الإمام الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعالى: «ذَكَرَ غوثُ الأَنجاب. . . ذَكَرَ غوثُ الثَّقَلَين. . .» علَّقتُ على قوله هذا ما يلي:

«ليت المؤلف رحمه الله تعالى أكرم الشيخ الجيلاني الجليل رحمه الله تعالى بغير هذا اللقب هنا وفيما سيأتي من قوله (غوث الثقلين)، فإني ما أَظن الشيخ رحمه الله تعالى يرضاه لنفسه ولا لغيره، ومقامُ الشيخ الجليل محفوظ، لا يَتوقَّف إجلاله على مثل هذا اللفظ، والتوسُّعُ في تفخيم الأَلقاب وتضخيمها ليس من سيرة السلف المشهود لهم بالخيرية، رزقنا الله التوفيق لما يحبه ويرضاه».

هذا ما علَّقته على الكتاب المذكور المطبوع من سبع سنوات، وهو في

أَيدي أُولئك من أَول صدوره من المطبعة، فإذا كنت لا أُقِرُّ أَن يُلقَّب مخلوقٌ مهما بلغ من الصلاح والعلم والمنزلة الرفيعة بلقب (غوث الثقلين)، فكيف أُجيز الاستغاثة بالموتى ــ ومن دون الله ــ كما زعموا؟! وأُكفِّرُ من لا يُجيزها؟! أَلا يتقي الله من يعلم أَنه محاسب على ما يتقوَّله؟

وأَما دعواهم أَيضاً بأَني غلَّطتُ شيخَ الإِسلام ابن تيمية، وتلميذَه الإمامَ ابن القيم، وإِمامَ الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى، في تقسيمهم التوحيد إلى توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية. فهي دعوى باطلة أَيضاً، فإني لم أَتعرض لهذا في شيءٍ من كتبي أَو دروسي بقليل أَو كثير، وما نسبوه إِليَّ ما هو إِلا مَحْضُ زورٍ وبُهتان.

وإِني بحمد الله تعالى وفضله أَدينُ الله تعالى في مقام العقيدة بعقيدة السلف رضي الله عنهم، فأَقول بعقيدتهم في الأَسماءِ والصفات، وأُثبت لله سبحانه ما أَثبته لنفسه وما أَثبته له سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير تأويل ولا تحريف، ولا تشبيه ولا تمثيل: (ليس كمثله شيءٌ وهو السميعُ البصير).

وأَما تقسيم التوحيد إلى ما ذكره هؤلاءِ الأَئمة: شيخ الإِسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم والشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى: إِلى توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية، فهذا تقسيم اصطلاحي استقاه العلماءُ مما جاءَ في الكتاب والسنة في مواضع لا تُحصَى، مما رَدَّ الله تعالى به على المشركين الذين كانوا يؤمنون بتوحيد الربوبية دون توحيد الألوهية، وفي سورة الفاتحة التي يقرأها المسلم في صلاته مراتٍ كلَّ يوم: دليلٌ على ذلك: (الحمدُ لله ربِّ العالمين. الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين. إِيَّاك نعبد وإِيَّاك نستعين).

إقحام الكوثري للإثارة:

أَما إِثارتهم عليَّ بأَني تلميذ الكوثري، إِلى آخر ما حاولوا به الإِثارة

والكيدَ لي، فأَقول: نعم إِني تلميذ الكوثري رحمه الله تعالى، كما أَني تلميذُ غيره من العلماءِ الكثيرين رحمهم الله تعالى، فقد تلقيت العلم عن نحو مئة عالم والحمد لله، في بلدي حلب وفي غيرها من بلاد الشام ومكة المكرمة والمدينة المنورة ومصر والهند وباكستان والمغرب وغيرها، فلي من الشيوخ قُرابةُ مئة شيخ، تلقيتُ عنهم، وأَخذتُ منهم، وكلٌّ واحد منهم له مَشْرَبُه ومَذْهَبُه، وما التزمتُ قولَ أَحد منهم لأَنه شيخي وأستاذي، بل أَلتزم ما أَراه صواباً وأَعتقده حقاً أَو راجحاً، وقد أُخطىءُ في ذلك أَو أُصيب كشأن كل طالب علم.

فدعواهم أَني ملتزم بكل ما يقوله الكوثري . . . دعوى باطلة، يَرُدُّها عليهم تعليقاتي ونُقُولي الكثيرةُ في كتبي والكتبِ التي خدمتها وحققتها، وهي في أَيدي الناس، وفي أَيدي أُولئك الكائدين بوجه خاص، وقد تصفحوها مراتٍ ومرات، ليجدوا فيها ثغرةً ينفذون منها إِلى الطعن بي والإِساءَةِ إِليَّ فلم يجدوا مبتغاهم الذي يُريدون، فرجعوا يَدَّعُون بأَني ملتزم للكوثري بكل ما يقول، ومئة في المئة، ويُقحِمُون هذا في كل مكان للإِثارة . . .

وأَقربُ برهان لدفع افترائهم هذا: أَني قد حشوتُ كتبي وتعليقاتي من كلام شيخ الإِسلام ابن تيمية والإِمام ابن القيم رحمهما الله تعالى، وخدمتُ بعض كتب الإِمام ابن القيم بالنشر والتحقيق كما سلف ذكره، كما أَني أَثنيتُ عليهما ودافعت عنهما، وذكرتهما على وجه الإِجلال والتعظيم والإِمامةِ في كتبي عشرات المرات، كما سلف بيانه بياناً قاطعاً لا مِرية فيه، وكان الشيخ الكوثري رحمه الله تعالى وغَفَر لنا وله يُجافي هذين الإِمامين بحسب رأيه واجتهاده، فلو كنت ملتزماً له بكل ما يقول لجفوتُهما وتابعتُه في مَشْرَبِه هذا نحوَهما رحمهما الله تعالى، والواقع يُثبتُ خلاف ذلك.

وقد تلقَّيت عن أَحد شيوخي الكبار في بلدنا حلب رحمه الله تعالى،

وكان شيخي هذا يُحِبُّ شيخَ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى حُباً لم أَرَ عند أَحدٍ من علماءِ العصر مثلَه، ويُتابعه في كل شيء، وكان يقول: «لو لم تكن النُّبُوَّةُ مختومةً لكان ابنُ تيمية نبياً». فلا بهذا أَخذتُ ولا بذاك أَخذتُ، والحمد لله على ما رزقني من الاعتدال والإجلال للأَئمة والعلماء، والاستفادةِ منهم والتأَدُّب معهم.

والحمدُ لله الذي وهبني ما أميز به بين المقبول والمردود، فأَرتضي ما أَراه ـ بحسب فهمي ـ مقبولاً ولو صدر من أَقل الناس، وأَترك ما أَراه بعيداً عن القبول ولو صدر من أكبَرَ من الشيخ الكوثري من العلماءِ المشهورين، مع أَني تابع مقلِّد والحمد لله على فضله، فلا يُتابعُ في كلِّ شيءٍ إلا عَصَبيّ أَو غَبِي، ثم هم يعلمون من نحو ٢٥ سنة أَني تلميذُ الكوثري، فما معنى أَني صِرتُ تلميذَه الآن!

هل الانتساب إلى المذهب الحنفي سُبَّةٌ وعار؟

هذا، ولم يكتفوا بكل ما سبق ذكره من النيل والاتهام والطعن والتجريح، وما فعلوه من تزوير الكتب عليَّ ونَحْلِها إِليَّ، وادِّعاءِ تكفيري للأَئمة الأَعلام إلى آخر ما تقدَّمَتْ الإشارةُ إليه مع الردِّ عليه، بل لقد وصل بهم الطعنُ إلى أَن اعتبروا مذهبي: (الحنفي) مجالاً للانتقاص مني والتعيير لي، وساقوا وصفي بلفظ (الحنفي) المراتِ تِلوَ المراتِ مَساقَ القدح والذم.

طعنهم في المذاهب الأربعة:

وما كان لي أَن أَستغرب ذلك منهم، ما داموا يعتقدون الانتساب إلى أَيِّ إمام من أَئمة المذاهب المتبعة سُبَّةً وعاراً، يُوصَمُ به المنتسبون إلى تلك المذاهب، فقد قَرَنوا المذاهب المتبعة بـ(الإنجيل)، وأَخرجوها عن دائرة شَرْعِنا، وعن الكتاب والسنة، وزعموا أَنها غيرُهما، نعم زعموا أَنها غيرُ الكتاب والسنة، فما أَدري ماذا يعنون؟ وماذا ـ من وراءِ ذلك ـ يقصدون؟!

فهذا قولهم في حاشية «مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري»، المطبوع في الكويت في الطبعة الأُولى والثانية جميعاً، في الجزءِ الثاني منه في ص ٣٠٨ في التعليقة ذات الرقم (٤)، فهذا قولهم فيها بالحرف الواحد، أَضعه بين قوسين: «... إِنَّ عيسى عليه السلام ـ أَي عند نزوله ـ يحكم بشرعنا، ويقضي بالكتاب والسنة، لا بغيرهما من الإِنجيل أَو الفقهِ الحنفي ونحوِه». انتهى قولهم بالحرف الواحد.

وربما استفظع القارىءُ الكريم هذا القولَ أَن يصدر من أَحدٍ مَّا! ولكنْ حسبُ القارىء أَن يقرأَ هذا النص في مصدره الذي ذكرتُه، ليَرى أَن ما استفظَعَهُ قد وقع وثبت منهم فعلاً! وهيهات أَن يُغَطُّوا ما صدر منهم بأَي تأويل أَو تعليل؟! وقد أَفاد قولُهم هذا: أَن (الفقه الحنفيَّ ونحوَه) ليس من شرعنا وليس من الكتاب والسنة.

وحكموا هذا الحكمَ على (المذهبِ الحنفي ونحوِه)، ولا يُفهم من لفظ (وَنحوِه) إِلا بقيةُ المذاهب الأُخرى: المذهبِ الحنبلي والمذهبِ الشافعي والمذهبِ المالكي، حكموا بقَرْن هذه المذاهب المتبعة جميعاً بـ (الإِنجيل)! وحكموا عليها بأَنها (غير الكتاب والسنة)! فهي ـ بحسب دعواهم ـ ليست من شرعنا لأَنهم قالوا: «إِن عيسى عليه السلام يحكم بشرعنا لا بالإِنجيل أَو الفقهِ الحنفي ونحوِه».

وإِذا كان الفقه الحنفي شيئاً غير الشريعة الإِسلامية التي هي الكتاب والسنة، فقد كان ثناءُ الأَئمة: مالكٍ والشافعي ويحيى القطان وابن معين وغيرهم على الإِمام أَبي حنيفة وفقهه: باطلاً، وشهادتُهم له بذلك: جهلاً منهم وزوراً، وحاشاهم من ذلك أَلفَ أَلفِ مرة.

ومن هذا أَدركتُ لماذا يُعيِّرُونني في «مقدمة شرح العقيدة الطحاوية» وغيرها بأَني (حنفي)، ويُعِيدون ذلك التعييرَ مراراً وتكراراً، ذلك لأَني وكلَّ

مقلِّد للأئمة المتبوعين في (حكمهم): على غير الكتاب والسنة، لأن هذه المذاهب ـ كما سبق نصُّ قولهم ـ «غيرُ الكتاب والسنة».

ولهذا حرصوا أن ينشروا كتابَ «المقابلة بين الهدى والضلال» الذي سبق ذكرهُ والكلامُ فيه، ويوزِّعوه بكميات كبيرة جداً، مجّاناً وهدايا عامَّةً لكل أَحد، ذلك لأنهم وجدوا فيه بُغيتهم في ص ١٢٦، وهي العبارة التالية في حق الإمام أَبي حنيفة رضي الله عنه وعن سائر الأئمة المتبوعين، أَضعها بالحرف الواحد بين قوسين: «استُتِيبَ أبو حنيفة من الكفر مرتين، لعَنَهُ اللَّهُ، إن كان (كاد) يَهدِمُ الإسلامَ عُرْوَةً عُروة، وما وُلِدَ في الإسلامِ مولودٌ شَرٌ منه» انتهت العبارة بالحرف الواحد كما هي في الكتاب المذكور.

ووجدوا بُغيتهم أَيضاً في الكتاب المذكور نفسه في ص ١٢٩ ـ ١٣٠، في العبارةِ التاليةِ في حق الإمام أَبي حنيفة رضي الله عنه أَيضاً، أَضعها بين قوسين: «النعمانُ بن ثابت أَبو حنيفة: قد اختُلِفَ في إسلامه». انتهت العبارة بالحرف الواحد.

كما وَجَدُوا في الكتاب المذكور عبارات كثيرةً ـ غيرَ هاتين العبارتين ـ تَجعلُ القارىءَ ينتهي من قراءة الكتاب، وقد صُوِّرَ له الإمامُ أَبو حنيفة بأَنه مُشرِك بالله تعالى ص ١٠٢، ومستهزىء بالرسول صلى الله عليه وسلم وبالكتاب والسنة ص ١٣٢ ـ ١٣٣، ومتلاعبٌ بالدين يُحل الحرام ويُحرِّمُ الحلال ص ١١٢، ويَرُدُّ أَحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بهواه ورأيه ص ١٢٥ و١٣٢، ويَسْخَرُ من بعضها ص ٩٥، ويقول في بعضها: هذا هَذَيان وفي بعضها: هذا رَجَز ص ١٤٢، كما يحكم بتجهيل كبار الصحابة رضي الله عنهم ص ١١٤ و١٣٥ ـ ١٣٦، ويَستهزئ بصلاة النبي صلى الله عليه وسلم التي سها فيها ويحكم ببطلانها ويقول: إن لم يكن جلس النبيُّ في الرابعة منها فلا تُساوي صلاتُه قَشَّةً من الأَرض ص ١٤٨، ويقول بأَن الدين عنده

ـ أي عند أَبـي حنيفة ـ هو الرأيُ الحَسَن ص ٧٤ و٩٥، وبأَن النبـي صلى الله عليه وسلم لـو أدركه لأَخَذَ النبـيُّ صلى الله عليه وسلم الدِّينَ عنه أي عن أَبـي حنيفة ص ٧٢، إلى آخر ما في ذلك الكتاب مما لا يَرضَى أفسقُ الناسِ أَن يقال بصدوره عنه، أو يَقبَلَ بنسبتِهِ إِليه.

وقد يستكبر القارىء هذا الكلام ويستبعده جداً، ولكن ما عليه إِلا أَن يرجع إِلى الصفحات التي ذكرتها ليشهد هذا الكلام بتمامه وكماله كما نقلته فيها.

فمن أَجل هذا نَشِطوا هذا النشاط العجيب في توزيع الكتاب، لأنهم يكسبـون بـه ـ في زعمهم ـ كسبين: الإِثـارةَ عليَّ، والنيـلَ من الأَئمـة المتبوعين، وفي مقدمتهم الإمامُ أَبو حنيفة رضي الله عنهم جميعاً.

ماذا وراء التخطيط لهَدْم المذاهب:

وإِن لنا أَن نتساءَل بعد هذا كله: ما الداعي إِلى نَبْشِ هذه الأَقوال الميتة المردومة، ونشرِها في كتب توزَّع بالكميات الكبيرة مجاناً على طلبة العلم وغيرهم في الكليات والمعاهد والمؤسسات التعليمية وغيرها، وهي تنال من إمامٍ من كبار أَئمة المذاهب الأَربعة رضي الله عنهم، وتَرميه بالرِّدَّةِ والكفر والتلاعب بالدين إِلى آخر ما سبقت الإِشارة إِلى بعضه! لحساب من هذا؟ أَلحساب (الكتاب والسنة)؟ حاشا! أَم بقصد الدس والفتنة والكيد؟ اللهم نعم! وما هذا التخطيطُ الهائلُ الخبيث لانتزاع الثقة بالأَئمة المتبوعين من قلوب المسلمين عامَّةً وقلوبِ طلبةِ العلم خاصَّةً؟!

ما موقف السادة العلماء؟

فليتبصَّر السادةُ أُولو العلم وأَصحابُ الـدين ما وراءَ ذلـك التوزيـع والنشر؟! وما رأيُ السادةِ العلماءِ في هذا الكتاب وهذا بعضُ ما فيه؟ وهل

يَصحُّ السكوت عن توزيعه أَم ينبغي الوقوفُ من هذا الكتاب وأَمثالِهِ الموقف اللازم؟ إِذ يتناول بالطعن والتجريح والتكفير.. أَحَدَ الأَئمة الأَربعة الذي يُجلُّهُ المسلمون ويحترمونه ويعظمونه ويَتَّبعونه، ويعتقدون فيه أَنه من أَئمة العلم والدين والصلاح والتقوى.

لقد صَوَّر أُولئك الكائدون بأَحاديثهم الشخصية، وبمقدِّماتِهم التي قَدَّموا بها عند توزيع كتاب «المقابلة بين الهدى والضلال»: أَنهم يُريدون كشفَ أَبـي غـدة، الذي زعمـوا فيه أَنـه يُكفِّرُ إِمـامَ الدعـوة الشيـخ محمـد بن عبد الوهاب، وشيخَ الإِسلام ابن تيمية، والإِمامَ ابن القيم رحمهم الله تعالى، وغَيَّبُوا بمقدمةِ الكتاب المطوَّلة وبكثرةِ التعليقات التي تَنالُ مني: ما حواه ذلك الكتابُ من تلك العظائم والقبائح والطامَّات في حق الإِمام أَبـي حنيفة رضي الله عنه، ولكن ما غيَّبوه واضح لكل من يقرأُ الكتاب أَو ينظر فيه بتفكُّر.

وقد وَزَّعوا سُمومَهم وطُعُونَهم في الأَئمة المتبوعين في كتب متعدِّدة، لتؤدي الغاية التي يبتغون، دون أَن تنكشف خبيئةُ نفوسهم التي يُضمرونها، ويتظاهرون معها بالغَيْرَةِ على الكتاب والسنة، فقد قالوا في كتاب «حجاب المرأة المسلمة» ص ٦١ ما يلي: «وقد أَغرب الشافعيةُ فقالوا: أَمّا لو سَتَر اللونَ ــ أَي العورة في الصلاة ــ وَوَصَفَ الأَعضاءَ، فلا بأس، كما لو لَبِسَ سِروالاً ضيِّقاً. قالوا: ويُستحَبُّ أَن تصلي المرأَةُ في قميصٍ سابغ وخِمار، وتتخذ جلباباً كثيفاً فوق ثيابها، ليتجافى عنها، ولا يَتبيَّنَ حجمُ أَعضائها. ذكره الرافعي في شرحه ٤ ــ ٩٢ و١٠٥ بشرح المهذَّب». انتهى كلامهم، ثم علَّقوا عليه بقولهم بالحرف الواحد ما أَضعه بين قوسين:

«قلت: فعلى رأيهم هذا، يجوز للمرأة اليوم أَن تَخرج لابسةً هذه الثيابَ الضيقةَ التي تلتصق بالجسم، وتَصِفُه وصفاً دقيقاً، حتى ليَخالُ من كان بعيداً عنها أَنها عارية! كهذه الجوارب اللَّحْمِية التي تَصِفُ حجمَ السَّاقين

والفَخِذينِ وتَزيدُها جمالاً، بل التُّبَّانَ الذي يَصِفُ العُضْوَ نفسه!

لو أَنَّ امرأة لَبِسَتْ مثلَ هذا اللباس، جاز لها ذلك عندهم! لأَنها سَترت اللونَ به، ولو أَعطَتْ المرأَةَ لوناً أَجملَ من لونها الطبيعي! فهل يقول بجوازِ هذا اليومَ مسلم؟ فهذا من الأَدلة الكثيرة على وجوبِ الاجتهادِ وتركِ التقليد، فهل من مُدَّكر؟!». انتهى كلامهم بالحرف. وفيه الوقاحَةُ والافتراءُ كما تَرى!

الطائفة الوسط :

وقد أَلَّفوا كتاباً هاجموا فيه المذاهبَ المتَّبَعَةَ هجوماً صريحاً دون هوادة، وسَمَّوه: «بِدْعَة التعصُّبِ المذهبي وآثاره الخطيرة في جُمُود الفِكْرِ وانحطاطِ المسلمين»، وَطَبَعوه في دمشق سنة ١٣٩٠ في ٣٥٠ صفحة، وسَمَّوا أَنفسهم فيه كما في ص ١٧٥ منه باللفظ الآتي بين قوسين: «... وبذلك نكون الطائفَةَ الوَسَط، في الإِسلام الوسَطَ، في الأُمَّةِ الوَسَط»، ووَبَّخُوا فيه علماءَ المسلمين على تقليدهم للأئمة الأَربعة رضي الله عنهم، وقَرَّعوا علماءَ الدين تقريعاً بالغاً على ما أَسموه: جُمودَهم على المذاهب. وجمعوا فيه من كل مذهب الفروعَ الشواذَّ مما لا يُعمَلُ به، ليُشوِّهوا المذاهب ويُسفِّهوا علماءَها ويُنفِّروا الناس منها.

عيبهم للمذاهب :

ومما جاءَ في ذلك الكتاب في ص ١٣٧ تَعدادُهم عُيُوبَ المذاهب، وإِيصالُها إِلى ستة عشر عيباً، ثم ذكروها عيباً عيباً، إِلى أَن قالوا في ص ١٧٦ وهم يَشرحون تلك العيوب التي نشأَتْ عن المذاهب المتَّبعة بدعواهم، ما أَضعه بين قوسين:

«سابعاً: فتحُ بابِ الحِيَل للتخلُّص من التكاليف الشرعية:

وهذا عيبٌ خطير من عيوب المذهبية المتعصبة، ذلك هو فتح باب

الحِيَل التي سَمَّوها: شرعية، وما هي والله بشرعية، لأن غرضهم منها هو الهُروب من التكاليف الشرعية، وتحليلُ الحرام وتحريمُ الحلال». انتهى كلامهم في الكتاب المذكور.

تهجمهم على علماء المملكة:

ومما جاءَ فيه أَيضاً في ص ١٨٥ بعد أَن ذكروا حديثَ العِينة: «إذا تبايعتم بالعِينة، وأَخذتم أَذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلَّط الله عليكم ذُلًّا لا يَنزِعُهُ حتى ترجعوا إلى دينكم»، جاءَ فيه ما أَضعه بين قوسين بالحرف الواحد:

«وقريبٌ من أَمرِ العِينة ما يُسمَّى بالتورُّق، وهو أَن يَشتري الرجلُ الراغب في الحصول على المال، من تاجرٍ بضاعةً بثمن أَغلى من ثمنها في السوق إلى أَجل، ثم يَبيعَها لتاجر آخر نقداً بثمن أَقل. وهي حِيلة محرَّمة أَيضاً، وقد أَفتى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بتحريمها، واستَدلَّ عليه بحديث عائشة لأُمِّ وَلَدِ زيد بن أَرقم، ونَقَل عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه قال: التورُّقُ أَخِيَّةُ الرِّبا أَي أَصلُه، ونقَلَ عن الإمام أَحمد وغيره كراهيتَه.

ومن الغريب العجيب أَنَّ التورُّقَ هذا شائع في المملكة العربية السعودية، ويُفتي بإِباحتِهِ جَماهيرُ علمائِها الحَنابِلَة، مع أَنَّ الإمام أَحمد رحمه الله صاحبَ المذهب قد كرهه، وذَهَبَ إلى حُرمته شيخ الإسلام ابن تيمية الذي يَدَّعون اتِّباعَه ومُوالاتَه، ويَنشُرون كتبَه وعِلمَه!

وقد شاع نوعٌ جديد من البيع، هو بيع التقسيط، بأَن يَجعل البائع لبضاعته ثمنين، أَحدُهما نقداً والآخرُ إلى أَجل، ومن الطبيعي أَن يكون الثمنُ المؤجَّل أَكثَرَ من المعجَّل. وهذا نوع آخَرُ من حِيَلِ الرِّبا أَيضاً، وإن كان أَفتى بعضُ المشايخ بحِلِّهِ، وأَجازه عامَّةُ مشايخ السعودية مع الأَسف!». انتهى كلامهم بالحرف الواحد. وفيه افتراؤهم الواضح، وجهلُهم، وانتقاصُهم

المكشوفُ لجماهيرِ وعامَّةِ علماءِ هذه البلاد من علماءِ السادة الحنابلة، ولديهم من أَمثالِ هذا في الكتاب المذكورِ الشيءُ الكثير جداً!!

كلمة أخيرة:

فهذه بعضُ أعمال أولئك الذين أَثاروا نحوي، وأَلَّبوا علي، وَرَمَوْني بالعظائم والكبائر، وتقنَّعوا بغير الحقيقة مخادعين منذ أَربعِ سنوات، وسكتُّ عنهم لعلَّهم يَرْعَوُون، فلم يَزدهم سُكُوتي إلا غُلُواً وإِسرافاً، وصَوَّروني بما أَوحت لهم طواياهم وأَهواؤهم، رجاءَ أَن ينالوا مآربهم، وما رَعَوا الصدقَ ولا الأَمانة ولا الأَخلاق، بل رَمَوْا بها كلِّها في سبيل بلوغ غاياتهم التي يأملون، وسلكوا المسالكَ المتعددة في تشييد الباطل الذي يَدَّعُون، فَهَتَك الله تعالى بالحقِّ ما شيَّدُوه بالباطل، وكان عاقبةُ ذلك خيراً عليّ، فقد تبيَّن للناس براءَتي مما قالوا، وعَرَفهم الناسُ بما فَعَلوا وكادُوا، وبَطَلَ ما كانوا يزعمون، فلله الحمد من قبل ومن بعد وهو العزيز الحكيم.

هذا، وما كنتُ أَرغب أَن تطول هذه (الكلمات)، ولكنَّ الكلام جرَّ بعضُه بعضاً، لكشف بعض الحقائق المستورة وراءَ تلك النشرات والمطبوعات التي سَمَّيتُ بعضها، وأَعرضتُ عن تسمية غيرها دفعاً للإطالة، وقد بدا لكل من يقرأُ هذه (الكلمات) بأَناة وهُدوءٍ وتدبُّر: أَنَّ وراءَ تلك الكتب والمنشورات مقاصِدَ سَيِّئة، تَتقنَّع بالغَيْرةِ على العقيدة والسلفية والأَئمة الثلاثة: شيخ الإِسلام ابن تيمية، والإِمام الشيخ ابن القيم، وإِمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى، وبزَعْمِ أولئك: أَني عدوٌّ لَدُودُ لهم، إِلى آخر ما بَهَتُوه. واللَّهُ حَسْبي عليهم وعلى دعاويهم الباطلة، ومقاصدهم الماكرة، ودسائسهم الخفية، ونِعْمَ الحسيبُ والوكيلُ سُبحانه.

ولي أُسوةٌ حسنة ـ فيما نالني منهم من الأَذى والبهتان والدسّ والافتراءِ، والإِثارة والاستعداء ـ بالإِمام أَبي حنيفة رضي الله عنه، بما رُمي به من الكفرِ

والرِّدَّةِ وهَدْمِ الإسلام والتلاعب بالدين...، مما نَقلتُ بعضَه فيما سبق. وأَرجو من الله تعالى أَن يَجعل ما قلته في هذه (الكلمات) مُبَصِّراً لأَهل الاستبصار، ومُعرِّفاً بموقفي من أُولئك الأئمة الأَعلام، الذين هاجمني أُولئك المختفون ورَمَوْني بدعوى تكفيرهم.

وقد تبيَّن للقارىء الكريم مقامُهم عندي، بما نقلتُه من ثنائي الخيْرَ عليهم، المطبوعِ في كتبي بين سنة **١٣٨٤** إلى سنة **١٣٩١**، وتلك الكتب بأَيدي أُولئك المختفين قلَّبوها مراراً وتكراراً، فلو كانوا صادقين مع أَنفسهم على الأَقل لاستحيَوْا من هذا الافتراءِ والبهتانِ، خشيةَ أَن يُكشَف ويَظهَرَ للناس، ولكن سُكُوتي الطويل غَرَّهم وجعَلَهم يتمادون في غَيِّهم وأَهوائهم.

وما كان مني هذا السكوت إلا لأَني لم أَكن أَرغب أَن أَشغل الناسَ بالأَخذ والرد، ولأَني أَربأُ بنفسي أَن أَنزل إلى المستوى الذي مَرَدُوا عليه من السباب والمهاترات، ولأَني أَعلم أَن أُولئك يترقبون مني صدورَ أَي كلمة ليعلقوا عليها ويُبدِئوا ويُعيدوا فيها ويَشغلوا الناس بها، وما أَحسب أَنهم بعد هذا البيان والكشف لهم ولبعض أَعمالهم يَرْعَوون، فذلك دَيْدَنُهم الذي أَلِفوه، ومسلكهم الذي اعتادوه.

وما كنتُ ــ والله ــ أَوَدُّ أَن أَنقُلَ ثنائي على أُولئك الأَئمة، المطبوعَ من نحو عشر سنوات وما دونها، في تبجيل أُولئك الأَعلام، لأَنهم بِغِنَىً عن ثناءِ مثلي، بما بوَّأَهم الله تعالى من المنزلة السامية والمقام الرفيع في قلوب المؤمنين وعلمائهم، ولكن الله أَراد أَن يَكشف الباطل وأَهلَه الحاقدين، فأَزلَّهم وأَغواهم، حتى اضْطُررتُ لكشفِ حالِهم وافترائِهم، بما أَكرمني الله به من تقدير أَئمة العلم ورجاله.

وإذا أَراد الله نَشْـرَ فضيلةٍ ... طُوِيَتْ أَتاح لها لِسَانَ (حَقُودِ)

ولعل فيما ذكرته الآن مَقْنَعاً لمن غرَّه كلامُهم المدخول، وافتئاتُهم المعسول، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

وكتبه

عبد الفتّاح أبو غُدّة

في ١٣٩٤/٤/١٢ بمدينة الرياض

يلي هذه الصفحة صورةُ كتاب الأستاذ محمد فهر شقفة إليَّ، الذي سبقت الإشارة إليه في ص ٧، وصورةُ كتابه أيضاً إلى بعض كبار العلماء في المملكة، للتحذير مما دُسَّ عليه في كتابه «التصوف بين الحق والخلق» كما سبقت الإشارة إليه، في ص ٨.

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الشيخ عبد الفتاح أبو غدة حفظه الله ورعاه .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد .

ابتدئ رسالتي بالاعتذار اليكم عما نشر في كتابي (التصوف بين الحق والخلق) الطبعة الثانية من مساس بشخصكم الكريم وغيركم من العلماء ممن تكن لهم أجل محبة وكل احترام . وخاصة وان بعضهم ممن لا أعرفهم ولم أسمع عنهم .

وقد كان هذا العدوان تزيداً من الناشر محمود مهدي استنبولي دون علم مني أو استشارة ، فأساء الى الأمانة قبل أن يسيء الى الأشخاص أو الطوائف ممن تعرض لهم في الكتاب ، وأساء الى الاسلام لأن الاسلام لا يرضى عن تلك الأساليب الملتوية .

ولا أكتمكم سراً اذا قلت لكم بأنني خدعت بالناشر فتوسمت فيه خيراً عندما عرض عليّ اخراج كتابي في طبعة شعبية رخيصة حرصاً على ايصاله الى كل بيت مسلم ، محاربة للخرافات ، وقضاء على الانحرافات ، والزيغ ، والتشويه للعقيدة الاسلامية الصحيحة .

فاستغل الناشر هذا التفويض لغرض في نفسه ، وأضاف على أصل الكتاب ما أضاف من تعريض واساءة للطوائف والأشخاص ، مما لا نرضى عنه أبداً ، وقد أنذرت الناشر المذكور بعدم توزيع الكتاب بهذا الشكل تحت طائلة المسؤولية المدنية والجزائية ، كما اضطره الى وضع ختم على غلاف الكتاب يشعر بأن الاضافات لا علم لي بها .

وختاماً أكرر اعتذاري راجياً أن تتقبلوا تحيتي والسلام

المحامي محمد فهر شقفة

٢٦/٩/١٩٧١

بســــم الله الرحمن الرحيــــم

الفاضل السيد   المحترم .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته   وبعد :

بلغني انه وصلكم نسخة من كتابي (التصوف بين الحق والخلق) الطبعة الثانية .
وتبيانا للحقيقة فاني اعلمكم ان تلك الطبعة مزورة ، وقد دس على الناشر فيها أقوالا
لم أكتبها تتعرض لبعض علماء هذا العصر لغاية في نفسه .

وعلى ذلك اقتضى التنويه والسلام

دمشق ــــــ ١٩٧١/٣/١٠   المحامـــــي

محمد فهر شقفـــــــة

* الشيخ عبد العزيز بن باز رئيس الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة .
* الشيخ عبد العزيز بن حسن آل الشيخ رئيس الكليات والمعاهد في الرياض
* الشيخ ابراهيم بن حسن آل الشيخ رئيس دار الإفتاء في الرياض .
* الشيخ عبد الله بن فنتوخ عميد كلية الشريعة في الرياض .

صدر عن مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب
المحققات والمؤلفات للأستاذ عبد الفتاح أبو غدة:

١ ـ الرفع والتكميل في الجرح والتعديل للإمام اللكنوي، الطبعة الثالثة مزيدة ومحققة.
٢ ـ الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة، في علوم الحديث للكنوي الطبعة الثانية.
٣ ـ إقامة الحجة على أن الإكثار في التعبد ليس ببدعة للإمام عبد الحي اللكنوي أيضاً.
٤ ـ رسالة المسترشدين للإمام الحارث بن أسد المحاسبي في الأخلاق والتصوف النقي، نفدت الطبعة الخامسة، وستصدر السادسة محققة ومزيدة كثيراً عما قبلها.
٥ ـ التصريح بما تواتر في نزول المسيح للإمام محمد أنور شاه الكشميري، الطبعة الرابعة.
٦ ـ الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام للفقيه القرافي.
٧ ـ فتح باب العناية بشرح كتاب النُقاية في الفقه الحنفي للإمام علي القاري الجزء الأول.
٨ ـ المنار المنيف في الصحيح والضعيف للإمام ابن قيم الجوزية صدرت الطبعة الثالثة.
٩ ـ المصنوع في معرفة الحديث الموضوع للإمام علي القاري أيضاً، الطبعة الثالثة.
١٠ ـ فقه أهل العراق وحديثهم للعلامة المحقق الإمام الشيخ محمد زاهد الكوثري.
١١ ـ مسألة خلق القرآن وأثرها في صفوف الرواة والمحدثين وكتب الجرح والتعديل بقلم الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة، وهو بحث جديد في بابه يهم كل محدِّث وناقد.
١٢ ـ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ الخزرجي، خير كتب الرجال المختصرة بتقدمة واسعة للأستاذ عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الثانية.
١٣ ـ صفحات من صبر العلماء للأستاذ أبو غدة، تصدر الطبعة الثالثة مزيدة ومحققة.
١٤ ـ قواعد في علوم الحديث للعلامة ظفر أحمد العثماني التهانوي، الطبعة الخامسة.
١٥ ـ كلمات في كشف أباطيل وافتراءات بقلم الأستاذ أبو غدة أيضاً، الطبعة الثانية.
١٦ ـ قاعدة في الجرح والتعديل وقاعدة في المؤرخين لتاج الدين السبكي، الطبعة الخامسة.
١٧ ـ المتكلمون في الرجال للحافظ المؤرخ شمس الدين عبد الرحمن السخاوي الطبعة الرابعة.
١٨ ـ ذكرُ من يُعتمَدُ قوله في الجرح والتعديل للحافظ المؤرخ الإمام الذهبي الطبعة الرابعة.
١٩ ـ العلماء العزاب الذين آثروا العلم على الزواج للأستاذ أبو غدة، الطبعة الثالثة.
٢٠ ـ قيمة الزمن عند العلماء، بقلم الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة السادسة، مزيدة جداً ومحققة.
٢١ ـ قصيدة «عنوان الحكم» لأبي الفتح البستي، بتعليق الأستاذ أبو غدة أيضاً. الطبعة الثانية.
٢٢ ـ الموقظة في علم مصطلح الحديث، رسالة للإمام الحافظ شمس الدين الذهبي.

٢٣ ــ لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث، بقلم الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الثانية.
٢٤ ــ من فقهاء العالم الإسلامي في القرن الرابع عشر بقلم الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة.
٢٥ ــ الباهر في حكم النبي ﷺ في الباطن والظاهر للإمام السيوطي قدَّم له الأستاذ أبو غدة.
٢٦ ــ الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء للحافظ ابن عبد البر، طبعة محققة.
٢٧ ــ ترتيب «تخريج أحاديث الإحياء للحافظ العراقي» صَنَعه الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة.
٢٨ ــ الجمع والترتيب لأحاديث تاريخ الخطيب، صَنَعه أيضاً الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة.
٢٩ ــ سنن النسائي، اعتنى به ورقَّمه وصَنَع فهارسه الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة.
٣٠ ــ الترقيم وعلاماته في اللغة العربية للعلامة أحمد زكي باشا قدَّم له الأستاذ أبو غدة.
٣١ ــ سِبَاحة الفِكر في الجهر بالذكر للإمام اللكنوي أيضاً اعتنى به الأستاذ أبو غدة.
٣٢ ــ قفو الأثر في صفو علوم الأثر لابن الحنبلي الحنفي اعتنى به الأستاذ أبو غدة.
٣٣ ــ بلغة الأريب في مصطلح آثار الحبيب للحافظ المرتضى الزبيدي اعتنى به الأستاذ أبو غدة.
٣٤ ــ جواب الحافظ عبد العظيم المنذري عن أسئلة في الجرح والتعديل اعتنى به الأستاذ أبو غدة.
٣٥ ــ أُمراءُ المؤمنين في الحديث، رسالة لطيفة فيها مباحث هامة، تأليف الأستاذ أبو غدة.

وسيصدر بعون الله تعالى قريباً
بتحقيق الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة:

١ ــ تحفة الأخيار في إحياء سنة سيد الأبرار للإمام محمد عبد الحي اللكنوي أيضاً.
٢ ــ نماذج من رسائل الأئمة وأدبهم العلمي. جمعها وحققها الأستاذ أبو غدة.
٣ ــ الرسول المعلِّم صلى الله عليه وسلم وأساليبه في التعليم للأستاذ أبو غدة أيضاً.
٤ ــ فتح باب العناية بشرح كتاب النُقاية للإمام علي القاري المكي، الجزء الثاني.

يُطلَبُ هووسائر كتب الأستاذ أبو غدة من المكتبات التالية: السعودية ــ الرياض: مكتبة الإمام الشافعي، مكتبة الرشد، مكتبة المعارف، مكتبة الحرمين. مكة المكرمة: مكتبة المنارة بجوار جامعة أم القرى. المدينة المنورة: مكتبة الإيمان. جُدَّة: مكتبة الوفاء. القاهرة: دار السلام. لبنان ــ بيروت: دار البشائر الإسلامية، الشركة المتحدة للتوزيع. الأردن ــ عمَّان: دار البشير، دارَ عَمَّار. الزرقاء: مكتبة المنار. وغيرها من المكتبات.